

وَكَلَّمَ لَهُ  
الْعَلَمَةُ الْمَحْقُوقُ أَبِي اللَّهِ مَجْدُهُ وَالسَّيِّدُ بَنِي

سَيِّدِ الْاَلَمِ  
سَيِّدِ الْاَلَمِ

عَرَضَ تَحْلِيلُ الْحَيَاةِ أَرْضَ جَمَاعِيَّةٍ وَالسِّيَّارِيَّةِ وَالْعَامِيَّةِ  
لِلْأُسَمَةِ الْمَعْمُورِ وَمِنْ

تَعْيِينِ  
حَسْبَانِ الْوَلَدِ الْبَنِي

نَالِيَتْ  
بِهِرْجِي الْبَشِيرِ الْبَنِي

هُوَ سَيِّدُ الْأَمَلِ وَالصَّبَاحِ الْبَنِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدّم له العلامة المحقق  
آية الله جعفر السبحاني



# سيرة الأئمة عليهم السلام

عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية  
والعلمية للأئمة المعصومين عليهم السلام

**تأليف**

مهدي البيشوائي

**تعريب**

حسين الواسطي

نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

پیشوائی، مهدی

سیرة الأئمة (عليه السلام): عرض و تحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للأئمة المعصومين (عليهم السلام) /

تأليف مهدي البيشوائي؛ قدم له جعفر السبحاني؛ تعريب حسين الواسطي. - قم: مؤسسة الإمام

الصادق (عليه السلام)، ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤

٦٦٩ ص.

کتابنامه به صورت زیرنویس

عنوان اصلی: سیره پیشوایان: نگرشی بر زندگی اجتماعی، سیاسی و فرهنگی امامان معصوم (عليهم السلام).

ISBN:964-357-042-8

چاپ سوم.

١. ائمه اثنا عشر - سرگذشتنامه. الف. سبحانی تبریزی، جعفر، ١٣٠٨ -، مقدمه نویس. ب.

واسطي، حسين، مترجم. ج. مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام). د. عنوان.

٢٩٧/٩٥

٩٠٤٣ س ٩ پ / ٣٦ / ٥ BP

اسم الكتاب:.....سيرة الأئمة (عليهم السلام)

تقديم:.....آية الله جعفر السبحاني

المؤلف:.....مهدى البيشوائى

تعريب:.....حسين الواسطى

المطبعة:.....مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)

التاريخ:.....١٤٢٦ هـ. ق / ١٣٨٤ هـ. ش

الكمية:.....٢٠٠٠ نسخة

الناشر:.....مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)

الصف والإخراج باللاتينوترون:.....مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)

E-mail: info@imamsadeq.org

http://www.imamsadeq.org

توزيع

مكتبة التوحيد

قم - ساحة الشهداء - ☎ ٥٧٤٥٤٥٧ و ٢٩٢٥١٥٢، فاكس ٢٩٢٢٣٣١

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجع فكرة تأليف كتاب حول الأئمة المعصومين عليهم السلام إلى سنين مضت حيث نشرت عدة أعمال بين تأليف وترجمة حول حياة بعضهم عليهم السلام ولقيت ترحيباً واستقبالاً من قبل القراء الراغبين في مثل هذه الأعمال، ومنذ ذلك الحين أصبحت كتابة مجموعة كاملة عن حياتهم عليهم السلام وبنفس طريقة الأعمال السابقة أمنية مقدّسة بالنسبة لي، غير أنّ الوصول إلى هذا الهدف كان يتطلب زمناً وإمكانيات كثيرة للدراسة والتأليف لم تكن متوفرة لدي حينذاك، ومن ناحية أخرى كان الكثير من الأشخاص يراجعوني ويطلبون منّي أن أعرفهم على كتاب شامل يمكن الاعتماد عليه وباللغة الفارسية الحديثة ليغنيهم عن الرجوع إلى المصادر المتعددة. إنّ الشعور بالحاجة وإبداء الرغبة من قبل الأشخاص المذكورين جدّداً أمنيّتي القديمة في نفسي.

ومضافاً إلى كلّ ذلك فإن كاتب السطور وخلال السنوات الأخيرة وعلاوة على تدريس تاريخ الإسلام درّس تاريخ المعصومين وسيرتهم عدّة مرّات في عدة مراكز للتعليم العالي، وقد توفّرت جرّاء ذلك مجموعة من الكراريس المختصرة في هذا المجال ولكن لم تكن هناك الفرصة الكافية لإبداها بكتاب منسق. ونظراً إلى الحاجة والترحيب المذكورين أُعيد النظر في الملزمات المذكورة، وقد تمّ التدقيق فيها مرّة أخرى والرجوع إلى مصادر أكثر وتوسّعت الأبحاث والمواضيع واتّخذت مكانها المناسب وأصبح الكتاب بتوفيق الله تعالى كما تراه.

إنّ هذا الكتاب قد أعدّ لعامة القراء فقد أعرضنا فيه عن الخوض في الأبحاث التخصصية والبعيدة عن حاجتهم، كأبحاث تاريخ تكوّن الفرق الشيعية، والأبحاث الكلامية المعقدة، والمواضيع التي اختلف فيها وتحتاج كتاباً مستقلاً، وأمثال ذلك، وقد اكتفينا عند الضرورة بإشارة عابرة إليها وأحلنا القارئ إلى المصادر المثبتة في الهامش.

والجدير ذكره أنّ كاتب السطور قد راجع مصادر الكتاب جميعاً بشكل مباشر وفي الوقت ذاته ثبت هويتها بصورة كاملة حتى يسهل للقارئ الرجوع إليها، وكذلك يستطيع الراغبون بمزيد الاطلاع الرجوع إلى هذه المعلومات أيضاً.

والأمر الآخر هو أنّه وحسبنا تقتضيه البحوث التاريخية قد استفيد في المرحلة الأولى من المصادر القديمة المعتبرة والمعول عليها والقريبة من الأحداث زمنياً قدر الإمكان، ولم يغفل الكاتب في غضون ذلك عمّا كتب باللغة الفارسية لا سيما ما كتبه المعاصرون، وأينما وجدنا تحليلاً جيّداً وعرضاً رائعاً وقراءة جديدة ونقطة جذابة أفدنا منه.

وتقديراً لجهود الكتاب وحفظاً للأمانة ذكرنا أحياناً - وبمقتضى جودة ترجمتهم لبعض المواضيع إلى الفارسية، أو لأنّ كتبهم كانت عوناً لي - أسماء كتبهم بجانب المصادر القديمة التي استفدنا منها. وكذلك نقلنا في بعض المواضع قسماً من أعمال المعاصرين بنصّه تارة، ومع بعض التصرفات الطفيفة في العبارة مع ذكر للمصدر وعرض موجز تارة أخرى.

وأرى هنا لزماً عليّ أن أشكر جهودهم، ولحسن الحظ قد كتبت في السنوات الأخيرة أعمال وكتب قيمة من قبل كتاب وباحثين حول سيرة الأئمة المعصومين باللغة الفارسية كلّها مفيدة وجديرة بالثناء غير أنّ كلاً منها تتبّع هدفاً معيناً، أو كتبت بطريقة خاصة أو من المحتمل أنّها كتبت لشريحة معينة. ومن هنا اختلف هذا الكتاب الذي بين يديك عن تلك الأعمال والكتب كثيراً، فطريقة طرح البحوث في هذا الكتاب بأن

يتم في سيرة كلّ إمام عرض الخطوط والمراحل العامة من حياته عرضاً شاملاً في البداية. ثمّ يشار إلى طبيعة الأجواء السياسية والاجتماعية السائدة في عصره بالتفصيل، وبعدها يتم دراسة الخطوط الرئيسية لحياة الإمام ونضج مواقفه السياسية والاجتماعية وتناسبها مع الظروف والأوضاع السائدة في المجتمع آنذاك.

وهكذا أخذ هذا الكتاب أمر اهتمام الأئمة بعامل الزمن والظروف والمقتضيات والموانع في تبين حياتهم المليئة بالجهاد والخدمات بعين الاعتبار وأولاه أهمية بالغة، ويمكن عد ذلك إحدى سمات هذا الكتاب وامتيازاته.

والنقطة الأخرى هي أنّه قدّرنا لسيرة كلّ إمام خمسين صفحة بشكل متوسط واحترافاً من مشكلة تعدد المجلدات جعلنا أبحاث الكتاب في مجلد واحد وإذا كان حجم الكتاب كبيراً نسبياً فهو لهذا السبب.

ومن المؤكد وعلى رغم جهود الكاتب، فإنّ هذا العمل لن يكون خالياً من العيوب، وأخيراً يجب أن أؤكد بأنّ أكبر المشجعين للكاتب في إتمام هذا الكتاب هو الأستاذ الكبير سماحة الشيخ آية الله السبحاني - مدّ ظله - أستاذ الحوزة العلمية في قم الذي أصر كثيراً على التسريع في إنهاء كتابته، والآن وتحت إشراف الأستاذ يطبع وينشر هذا الكتاب من قبل مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للأبحاث والتحقيق. ومن الله التوفيق وعليه التكلان

مهدي البيشوائي

قم - رجب ١٤١٤ هـ - دي / ١٣٧٢ هـ. ش



## مقدمة سماحة الشيخ آية الله جعفر السبحاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ الماضي صحيفة كبيرة مفتوحة أمام صحيفة المستقبل المطوية، ومن خلال هذه الصحيفة المفتوحة ينبغي فتح ذلك القسم المطوي وتحديد معالم مسيرة المستقبل، وتعلم دروس كثيرة من سيرة الماضين.

وحتى وقت قريب كثيراً ما كان المؤرخون رواة للأحداث وساردين لها غير واقفين على أسباب الأحداث أو نتائجها السيئة أو الحسنة، وكأنهم كتبوا التاريخ لتسلية الناس وهوهم أو أنهم يتركون هذا العبء على عاتق القراء.

إنّ الحداثة في كتابة التاريخ التي حولته من مجرد نقل الأحداث بصورة جافة وقصّها إلى عملية تحليل وتمحيص هي خطوة كبيرة في مجالات العلوم الإنسانية. أحدثت هذه المنهجية مسافة كبيرة بين نوعي التاريخ النقلي والتحليلي لدرجة أنّها جعلت هاتين المنهجيتين والطريقتين في الكتابة وكأنّهما علمان مستقلان عن بعضهما. تتم الإفادة في هذا النوع من الكتابة مضافاً إلى النصوص التاريخية وأقوال الشهود والرواة من علوم عديدة، مثل علم النفس وعلم الاجتماع والجغرافيا وعلم الآثار وغير ذلك. وتعرض الأحداث التاريخية على شكل متسلسل بأن يكون كلّ واحد منها متلوّاً بالآخر مع أسبابها ونتائجها.

إن نقطة الضعف الكامنة في هذا النوع من كتابة التاريخ هي أنه لا يكون التاريخ مصوناً ونزيهاً من التدخل والتصرف الغير مناسب والتفسير بالرأي الخاطئ وتختلط الأحداث التاريخية فيها بأهداف وأفكار ودوافع الكاتب الشخصية ويختفي وجه الحقيقة تحت ستار سميك من التفسيرات والتنظيرات.

ومن الواضح أنه لا يمكن أن يتهم جميع كتاب التاريخ بالحكمة السابقة لأوانها غير أنه ينبغي تقبل عدم نزاهة الكثير منهم من نقطة الضعف تلك.

كما أنه لا يمكن اعتبار جميع المؤرخين النقليين كتاباً هادفين وواقعيين، لأن البعض منهم لم يكن بعيداً عن الأغراض والمصالح الشخصية وكان ينقل ما يؤيد أفكاره وعقيدته الدينية ومصالحه القومية ولا يتعرض إلى الوجه الآخر من الأحداث ولكن ينبغي القول عند المقارنة أن كمية الخطأ في التاريخ التحليلي أكثر بكثير من كمية الخطأ في التاريخ النقلي. وفي عصرنا الشيء الذي جعل التاريخ التحليلي مزدهراً أكثر هو ظهور فلسفة التاريخ التي تمتاز عن علم التاريخ شأنها شأن فلسفات أي علم من العلوم. توضح فلسفة التاريخ الأسباب العامة لحدوث الأحداث وتكامل المجتمع، وتعلمنا القوانين العامة للتطور والتكامل.

وبعبارة أخرى: إن فلسفة التاريخ تدرس وتبحث العلاقة القائمة بين الأحداث المختلفة، وتكشف عن أسباب ومسببات تلك الأحداث التاريخية.

إن أي نوع من البحث للحصول على القوانين العامة لحركة وتكامل المجتمع الإنساني هي خطوة في سبيل تطور فلسفة التاريخ وتكامله، أو علم مجتمع الإنسان وتقدمه. وتكشف الدراسة العميقة لعلل تكامل أو تحولات وتغيرات حياة الإنسان بأن العوامل المحركة للتاريخ لا تنحصر في عامل واحد أو عاملين، بل هناك أسباب متنوعة وفي ظروف مختلفة هي التي تحرك عجلة الحياة في المجتمع الإنساني وتكتب بقلم التكوين صفحات تاريخه، ولم يكن هناك عامل

واحد هو الذي يحدد مسار حياة الإنسان على مر التاريخ. وقد حاول البعض أن يجعل محرك التاريخ منحصراً في عامل واحد. وهناك ممن يحملون نظرة ضيقة يدرس جانباً واحداً من حياة الإنسان لا كل الجوانب وكأنّ هذا البعض قد أقسم بأن لا يقدم أكثر من عامل واحد لتكامل وتطور تاريخ الإنسان، أو أنّه اعتبر عامله الذي يطمح إليه مفتاحاً سحرياً يمكنه أن يفتح جميع أبواب التاريخ المغلقة، فهم ولأجل أن لا يظهروا بمظهر أصحاب النظرة الضيقة يقدمون دائماً عاملاً واحداً - كالعامل الاقتصادي - على أنّه هو السبب الرئيسي لجميع الأحداث ويجعلون العوامل الأخرى في الدرجة الثانية من ناحية التأثير.

إنّ الذين لا يعتقدون بوجود أكثر من عامل واحد محرك للتاريخ هم أناس سذج بسطاء أحاديو النظرة والرؤية، ويكتفون بجانب واحد فقط، ويستأنس فكرهم بعامل واحد من العوامل الصانعة للتاريخ، ويغفلون عن العوامل الأخرى، أو أنّ أفكارهم الحزبية والسياسية ساقطتهم إلى الاعتقاد باقتدار عامل خاص - الصراع الطبقي - وأن يحسبوا العوامل الأخرى ثانوية فوقية لا أساسية.

### التاريخ والصراع الطبقي

اعتقدت الماركسية بأنّ تاريخ المجتمع الإنساني حصيلة صراع طبقي لطبقات مسحوقة وقسمت الشعوب في العالم إلى فئتين:  
فئة مرتبطة بالنظام الكلاسيكي، وهي ترى أنّ مصلحتها تكمن في بقاء ذلك النظام.

وفئة مناضلة ترى أنّ مصلحتها في تقويض النظام السائد الحاكم.  
إنّ هذا النوع من التفسير لتحولات وتغييرات الإنسان يدلّ على حصر نشاطات الإنسان في الرغبات المادية الدنيوية.

وفي الوقت الذي توجد ميول وغرائز أخرى ضمن هذا الإطار تميل إلى أن شرف وقيمة الإنسان أعلى وأرقى من أن يفكر في إطار مصالحه المادية الضيق وأن يعتبر حركة التاريخ معلولة لبطنه وشهوته فقط.

إن صفحات التاريخ الإنساني تشهد لمناضلات وجهود شخصيات قديرة وكبيرة تناولت مقبض السيف وضحت بأرواحها وأبنائها في سبيل الحفاظ على القيم الإنسانية ومكافحة الأوضاع الدينية والأخلاقية المتردية ومعالجتها.

والتاريخ خير شاهد على ذلك، ويشهد أن كثيراً من الحروب والصراعات التي نشبت لمحو النظام الطبقي - و بعبارة أصح لاسترجاع حقوق المستضعفين من المستكبرين الجبابرة - قد تمت تحت قيادة رجال أحرار نهضوا بدافع حب الإنسان وحفظ حقوقه، بل وأكثر من ذلك بدوافع دينية إلهية.

وتروي آيات القرآن بصراحة أن الشخصيات المؤمنة والمستضعفة والفقيرة كانت تشكل الجزء الأكبر من أصحاب الأنبياء ﷺ والتي حاربت لدحر الشرك وآثاره المدمرة وإيصال الإنسان إلى درجة راقية درجة التعلق بالله تعالى والارتباط به، حتى أن أحد اعتراضات الطغاة المستكبرين على الأنبياء هو التفاف الفقراء والمستضعفين حولهم.<sup>(١)</sup>

وعندما نقرأ حول نهضة خاتم الرسل ﷺ ودعوته نجد أن طغاة عصره ومستكبريه يشترطون للإيمان بالإسلام أن يطرد الفقراء والمستضعفين من حوله. ولذلك نهى الله تعالى الرسول عن طرد هذه الفئة التي حملت أعباء الدعوة على عاتقها نزولاً عند رغبة بعض المستكبرين.<sup>(٢)</sup>

من يتصفح التاريخ يجد هناك فئتين من البشر:

١. فقد قال أعداء هود عليه السلام له : ﴿ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّبِ الرَّأْيِ ﴾ (هود/ ٢٧).

٢. ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (الأنعام/ ٥٢).

١. فئة هي أسيرة رغباتها المادية، وهذه فئة وضيعة قاصرة العقل لدرجة أنها لا يدور في خلدتها شيء غير مساندة النظام الحاكم وتبرير أعماله، وذلك لإشباع رغباتها وميولها النفسية.

٢. وفئة أخرى تطلب الحق وهي مبدئية هادفة، غاضبة، متحررة من ضغوط البيئة والطبيعة، وينصب عزمها وجهدها بصورة رئيسية على حفظ القيم الإنسانية والأخلاقية وعلى ترقية مستوى الإنسان الروحي المعنوي، وإذا كان محرك التاريخ لدى الفئة الأولى هو التمتع بالترف والرفاه المادي للإنسان، فإن إصلاح المجتمع وإحياء والنهوض به وتحريره من الطبيعة الحيوانية والتعلقات المادية والاهتمام بالقيم والمبادئ العليا كل ذلك يكون هو المحرك له لدى الفئة الثانية، وهنا تجب دراسة دور الأنبياء والأولياء الإلهيين في صنع التاريخ بدقة أكبر وأفق أوسع، فقد كان للشخصيات الإلهية دور بارز لا يمكن إنكاره في ظهور النهضة الإصلاحية الكبيرة في التاريخ وكان منهاجهم الإلهي الذي يصل إليهم من خلال الوحي أكبر رأسمال للنهضة والثورة. إن دورهم في زرع الإيمان في الشعوب و تعبئتها في سبيل الأهداف الإنسانية العليا، وبالتالي في قلب وجه المجتمع وواقعه هو من بديهيات التاريخ ومسلّماته. وقد أثبتت التجارب التاريخية بأن العلوم البشرية قد تنير درب الإنسان إلى حد ما غير أنها لا تحدث ثورة ولا تصنع مجتمعا.

لقد كان أنبياء الله ورسله وأوليأؤه الصالحون هم الذين علّموا البشرية درس التحرر من أسر الجبابة المستكبرين وكانوا بسبب ما يتمتعون به من قوة الإيمان فاعلين في دك قلاع الظلم أكثر من أي عامل آخر.

### الفرويدية وتاريخ البشرية

وفي هذا الإطار ارتكبت الفرويدية خطأ أكبر فقد عدّ فرويد حركة التاريخ

معلولة للغريزة الجنسية، واعتقد بأنّ لهذه الغريزة دوراً كبيراً وأساسياً في جميع نشاطات الإنسان الفردية والاجتماعية.

فالإنسان من وجهة نظره هو حصيلة سلسلة من المحاولات والجهود المتواصلة تنبع جميعها بشكل شعوري أو لا شعوري من الغريزة الجنسية، ولم يتّضح حتى الآن سبب اهتمام هذا الاتجاه بالغريزة الجنسية من بين غرائز الإنسان أكثر من غيرها، وقد غَضَّ الطرف عن الجوانب الروحية فيه مع أنّ البحوث العلمية قد اكتشفت قبل فرويد وبعده جوانب قديرة في النفس الإنسانية وأثبتت غرائز راقية كان لها دور في الإبداع في تاريخ الإنسان مثل:

١. الجانب الروحي والتوجّه نحو ما وراء الطبيعة الذي أوجد الأديان والمذاهب، وفي الواقع أنّ وجود كلّ هذه المساجد والمعابد والمراكز الدينية يشكل جانباً من نشاطات تلك الغرائز.

٢. الجانب الأخلاقي وحب الحقّ والحقيقة وهو ممّا له دور كبير في حياة الإنسان، ولو حذف هذا الجانب الذي هو أحد الجوانب الروحية للإنسان من حياته لمُنيت باختلال واضطراب عجيب.

٣. حبّ الفن والجمال الذي أوجد الفنون المعمارية الشرقية والغربية واللوحات الفنية الرائعة ونضد الفسيفسאות والصناعات اليدوية الجميلة والأدب الإنساني نثراً وشعراً، كلّ ذلك يشكل مظهراً بارزاً لهذا الجانب من الجوانب الروحية للإنسان.

٤. الجانب العلمي وحب كشف المجهولات ومعرفة أسباب الظواهر والحوادث الذي ساهم مساهمة كبيرة في الحضارات وانفتاح العقل الإنساني. وبالنظر إلى هذه الجوانب فكيف يضع فرويد زمام تاريخ الإنسان بيد غريزة

وضيعة؟! وكأنه يعتقد - هو والماركسية - أنّ إنسانية الإنسان تتلخص في بطنه وفرجه وما شابه!

وعلى أية حال أنّ تفسير حياة الإنسان الصاخبة على أساس النزاع الطبقي أو النظرية الجنسية يشبه تفسيرنا لزلزال عظيم دمر البيوت والعمارات وقوض الجبال واستأصلها على أساس انهدام كوخ خشبي في تلك المنطقة التي حدث فيها الزلزال. ومن الواضح أنّ الذين يتمتعون بنظرة شمولية دقيقة يعرضون عن هذه المحدودية الفكرية في تحليل الأحداث، ولا يغضون الطرف عن تأثير العوامل الأخرى التي منها تأثير الشخصيات الإلهية في صنع تاريخ الإنسان.

وقد خصّص القرآن العظيم وللأهمية التي يوليها بحق لجهود هذه الشخصيات الكبيرة في أحداث تاريخ الإنسان وحضارته قسماً من آياته بمواقفهم وجهودهم المتواصلة، وقد أشار خلال ذلك إلى نقاط ذات قيمة عالية واعتبر حياة الأنبياء المفعمة بالنضال والخدمات عبرة للعلماء: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق كتب جماعة من العلماء والمفسرين كتباً كثيرة حول حياة الأنبياء وسيرتهم يمكن أن تكون مفيدة لنا جداً. ومن المؤكد توجد في بعض هذه الكتابات حقائق قرآنية قد امتزجت بمجموعة من الإسرائيليات والمجوسيات فرسمت صورة غير حقيقية عن حياة الأنبياء المقدسة، غير أنّ أولئك العلماء الذين كتبوا واستلهموا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة في هذا المجال قد قدموا خدمة عظيمة للمجتمع الإسلامي.

ونعيد ما قلناه في البداية هنا وهو أنّه يجب أن نقرأ هذا القسم من التاريخ،

بل وجميع كتب التاريخ من حيث إنها تستطيع أن تعلمنا كمعلم صامت أسباب رقي الحضارات وسقوطها.

### الأئمة الإثنا عشر

وفهم من الروايات والأحاديث التي نقلها السنة والشيعه بوضوح أنّ النبي الأكرم قد أخبر عن خلفائه الاثني عشر، وكما يروى لنا مسلم في صحيحه: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة.<sup>(١)</sup>

وفي رواية أخرى: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. وقد أوردنا جميع الأحاديث التي نقلها أهل السنة حول الخلفاء الاثني عشر في كتاب بحوث في الملل والنحل.<sup>(٢)</sup>

وفي الوقت ذاته تحير أئمة الحديث من أهل السنة في تحديد هؤلاء الخلفاء الاثني عشر وتخططوا تخططاً عجيباً ولم يتمكنوا من تعيين اثني عشر خليفة يتصل بعضهم ببعض بهم يكون الإسلام عزيزاً منيعاً، لأننا نعلم أنّ الحكم الأموي بدأ بعد عصر خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وليس بإمكان أي مؤرخ خبير ومنصف أن يعدّ معاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم ضمن الخلفاء الاثني عشر الذين يكون بهم الإسلام عزيزاً وعظيماً.

وبعد انقراض الحكم الأموي بدأ عصر بني العباس الأسود الذي تسبب هو الآخر في الكثير من الحروب والمجازر وسفك الدماء. وعليه لا يمكن عدّ هؤلاء العباسيين مصاديق لخلفاء الرسول الاثني عشر. ومن كلّ ما تقدّم أنّ

١. صحيح مسلم: ٦/٣، باب الأمانة والخلافة.

٢. بحوث في الملل والنحل: ٦/٥٨-٦١.

المجموعة الوحيدة التي تشكل المصداق الحقيقي - باعتراف العدو والصديق - هؤلاء الخلفاء الاثني عشر هم الاثنا عشر إماماً من الأئمة المعصومين للشيعة الذين ورد ذكر أسمائهم وصفاتهم وكيفية حياتهم عن لسان النبي في كتب التاريخ وفي الروايات بشكل متواتر.

ويوجد هناك كلام لأحد علماء أهل السنة حول الخلفاء الاثني عشر الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ جدير بالالتفات إليه، ونحن نورد هنا خلاصة منه للقراء الأعزاء: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأنّ النبي ﷺ قال: «كلّهم من بني هاشم» في رواية عبد الملك عن جابر وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنّهم لا يحسنون خلافة بني هاشم، ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متّصلاً بجدهم ﷺ وبالورثة واللدنية.<sup>(١)</sup>

١. ينابيع المودة - للشيخ سليمان البلخي القندوزي - ص ٤٤٦ ط استانبول، عام ١٣٠١ هـ. والطبعة الجديدة ج ٣/ ٢٩٢، نشر دار الأسوة، قم - ١٤١٦ هـ.

## الوحي والمحافظة على الدين

تؤكد أحاديث الأئمة الاثني عشر على أنّ خطة الحفاظ على الدين بعد رحيل رسول الله هو أن يتعين خليفته من خلال تنصيبه هو عليه أو على يد خلفائه وإنّ الأمة لا حق لها في انتخاب الخليفة.

لأنّه لو كان انتخابه من قبلهم لكان تحديد الاثنى عشر خليفة وحصرهم في بني هاشم منافياً لذلك الأصل الأنف الذكر. ولم تكتف الأحاديث المذكورة بذكر عدد الخلفاء وصفاتهم، بل إنّ الرسول ﷺ وفي عدة مناسبات كان يذكر أسماءهم أيضاً، وقد عين خليفته الأوّل في بداية دعوته ورسالته.

ويشهد على ذلك حادثتا يوم الدار<sup>(١)</sup> في السنة الثالثة من البعثة والغدير المشهورتان. وسنشير إلى سرّ ضرورة تعيين الخليفة من قبل الله تعالى بشكل موجز، وهو أنّ الطريق الصحيح والسليم للحفاظ على الدين والاحتراز من أي اختلاف وافتراق بين الأمة أن يعين الرسول الأكرم ﷺ ومن خلال الوحي خليفته أو خلفاءه وينص عليهم وأن لا يدع الأمر إلى أمتّه، لأنّ إحالة الأمر إليهم خطأ من ناحيتين:

ذلك أنّ طبيعة وطريقة حياتهم الاجتماعية - المتأثرة من النظام القبلي - لم تكن لتسمح بأن يساهم أفراد المجتمع في الانتخابات ويختار في النهاية الشخص الأصح بطريقة ديمقراطية وبحرية كما يقولون.

والناحية الثانية هي أنّ ثالوث الأعداء كان يحرق بهذه الحكومة الفتية ويرصدّها ويتحين الفرصة للقضاء عليها، وفي هذه الظروف وهذا المجتمع يكون بقاء الدين واستمراره منوط بتعيين الخليفة من قبل القائد والمنظر لهذه الثورة ولا

١. سيأتي تفصيل حادثة يوم الدار في هذا الكتاب في الصفحة ٣٨.

يصبح ترك الأمر إلى الناس - الذين لم يبلغوا الكمال الاجتماعي والنضج الكافي ويسیرون ضمن إطار النظام القبلي وبأمر من شیوخ القبائل - عديم الفائدة - ولا ينتهي إلى اختيار الأصلح فقط بل سیتسبب في تفريق الأمة وانقسامها. والآن سنتناول هذين العاملين بتفصيل أكثر:

### ١. طبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية

كانت حياة الناس في شبه الجزيرة حياة قبلية وعشائرية وفي مثل هذه البيئة لا يكون هناك أي معنى لكلمات مثل الديمقراطية والحرية واحترام رأي الإنسان. ومن الواضح أنّ في مثل هذه الحياة وطبيعتها يكون الرأي الأول والأخير هو رأي شيخ القبيلة وسيد العشيرة، ولو كان يترأس عشيرة من ألف شخص، فهذا يعني أنّ هناك واحداً وألف رأي في الظاهر، ولكن لم يكن هناك أكثر من رأي واحد في الواقع وذلك هو رأي شيخ القبيلة وسيدها، لأنّ الألف نفر يدلون برأيهم تنفيذاً لأمره دون أدنى تأمل أو تفكير.

انّ مثل هذا الاستفتاء الشعبي وإن كان ديمقراطياً في الظاهر غير أنّه ليس إلّا حكم الشخص الواحد ذلك الشخص الأناني والمستبد برأيه الذي يريد أن يتقلد حكم العشيرة بالقوة والحيلة أو كميراث للأسلاف، ويجب الانتباه إلى أنّه كان يتواجد في المدينة وحدها بعد رحيل النبي جماعة الأنصار الذين كانوا يتشكلون من قبيلتين كبيرتين: الأوس والخزرج، شيخ الأولى أسيد بن خضير والثانية شيخها سعد بن عبادة، ولو فرض أن ينتخب شخص لتولي الحكم لكان الأوس يتبعون رأي سيدهم والخزرج كذلك، ولكانت هذه القاعدة تصدق على جميع القبائل التي كانت تعيش في نجد والحجاز، فهل كان من الصحيح أن يترك الرسول - و نظراً للطبيعة الاجتماعية السائدة آنذاك - أمر انتخاب الخليفة إلى

الناس و في الواقع إلى أسيادهم؟ وتكون الديمقراطية الخاوية من المعنى قناعاً خادعاً وذريعة مبررة لبعض العناصر النافذين ويفرض الشخص المرغوب فيه من وجهة نظرهم نتيجة لمحاسبات عشائرية ضيقة الأفق والنظرة ولعلاقات قبلية على الأمة.

يجب أن يكون خليفة رسول الله خير الأمة كمالاً وعلماً ودراية وكفاءة، ولم يكن لشيوخ القبائل وأسيادها الذين تربوا على الاستبداد وحب الرئاسة والسيادة أن ينتخبوا شخصاً مثل هذا.

## ٢. الأعداء يترصدون الإسلام

عندما رحل رسول الله ﷺ كان هناك ثالث نحس يهدّد كيان الإسلام، فمن جهة الشرق هناك امبراطورية الساسانيين العظيمة - حيث خسرو برويز الذي مزّق رسالة النبي بكّل وقاحة - و من جهة الغرب امبراطورية الروم الشرقية وحلفاؤها في البلاد العربية، وأخيراً كان هناك وفي داخل شبه الجزيرة العربية المنافقون الذين لا يقلّون شأنًا عن العدوين السابقين والذين كانوا يترصدون الإسلام الفتى ويتحينون الفرصة لاستئصاله. ففي هذه الظروف والأوضاع يكون أفضل القرارات هو أن ينتخب شخص من قبل نفس النبي يكون جديراً لهذا الأمر وقيادة الأمة، وبهذا ينسد باب الفرقة والاختلاف ويمنع اختراق الأعداء للعالم الإسلامي. نعم للحفاظ على كيان الإسلام الذي فتح أعداءه الثلاثة فمهم كتين خطير يريد ابتلاعه كان يجب أن تعد خطة من قبل صاحب الشريعة يتم على أساسها تضيق رقعة الاختلاف وإعداد المجتمع لمواجهة أعداءه بدل الانشغال بالنزاعات الداخلية فيقضى من اختاره الوحي على العدوين الداخلي والخارجي من خلال تعبئة القوات المتحدة.

وهنا يكون كما قال الشيخ الرئيس: والاستخلاف بالنص أصوب، فإن ذلك لا يؤدي إلى التشعب والتشاغب والاختلاف.<sup>(١)</sup>

توضح دراسة تاريخ الصحابة والتابعين ان طبيعة المجتمع آنذاك كانت طبيعة نزاعية. ومنذ ان دخل الرسول الأكرم ﷺ المدينة كان الاختلاف بين الأنصار والمهاجرين ملحوظاً فيهم، وكان يشتد في بعض الأحيان كما حدث في قضية الإفك<sup>(٢)</sup> وقد بلغ الاختلاف ذروته في اجتماع سقيفة بني ساعدة، الاجتماع الذي عقده الأنصار من جانبهم بعد رحيل رسول الله ﷺ ثم التحق بهم جماعة بدافع الوقوف ضد قراراتهم واستلام مقاليد الخلافة والسلطة.

ونظراً إلى ما تقدم فإن العقل يحكم بأن ترك مصير الأمة إليها في تلك الظروف العصبية والحرجة ليس من مصلحة الإسلام ولا من مصلحة أتباعه، بل أن قرار القائد الإلهي وهو انتخاب شخص تتوفر فيه الشروط المذكورة هو الأمر الوحيد الذي يمكن من خلاله استئصال الاختلاف وإقصاء غير المؤهلين والسير بالأمة وقيادتها تحت لواء الإمام المنصوص عليه إلى الأمام.

### حياة الأئمة المعصومين

تعرفنا فيما مضى على طريقة كتابة التاريخ التحليلي وخصوصياته، وعرفنا أحد أكبر أسباب صنع التاريخ، وأخيراً شاهدنا مخطط الوحي ومنهجه الحكيم للحفاظ على الدين وبقائه. وقد حان الآن وقت البحث حول سيرة الأئمة المعصومين وحياتهم التي تشكل موضوع هذا الكتاب بصورة مختصرة.

١. الشفاء، الاهيات، ج ٢، ط ايران، ص ٥٥٨ و ٥٦٤.

٢. صحيح البخاري: ١١٩/٥، باب غزوة بني المصطلق.

إنّ دراسة كتب التاريخ الإسلامي تدل على أنّ سيرة أهل البيت من أهمّ المواضيع التي شغلت بال المحدثين والمؤرخين بعد سيرة الرسول الأعظم ، ولو أحصينا عدد الكتب التي ألّفت حول منذ بداية القرن الثاني حتى اليوم لوجدنا أنّه ليس بالإمكان حتى درج أسماؤها في كتاب واحد فضلاً عن نفس الكتب التي يحتاج جمعها إلى مكتبة ضخمة. وقد كشفت - لحسن الحظ - الفهارس الموجودة الستار عن هذه الحقيقة سواء التي أعدها الشيعة أو السنة وفضلاً عن كتاب كشف الظنون للكاتب الجليبي (١٠١٧-١٠٦٧هـ) وكتاب الذريعة للعلامة الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩هـ) وكتاب مرآة الكتب للشهيد ثقة الإسلام (المتوفى ١٣٣٠هـ) والفهارس الموجودة في المكتبات العالمية فقد نجح أخيراً المحقق المحترم عبد الجبار الرفاعي من خلال متابعاته وجهوده المتواصلة في مراجعة المصادر والفهارس الموجودة أن يؤلّف معجماً عمّا كتب عن أهل البيت ، وكانت حصيلة جهوده مجموعة من ١١ مجلداً بالقطع الوزيري تحت عنوان «معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت».

وقد تعرف فيما يتعلق بحياة الزهراء والأئمة الاثني عشر معاً على ١٤٢٠٦ من الكتب التي ألّفت وكتبت باللغات الفارسية والعربية والأردية واللاتينية.

ونحن نذكرها هنا بشيء من التفصيل:

١. فاطمة الزهراء ٥٤٦ كتاباً.
٢. أمير المؤمنين ٤٩٥٦ كتاباً.
٣. الإمام الحسن ٢٠٥ كتاباً.
٤. الإمام الحسين ٣٢١٥ كتاباً.
٥. الإمام السجاد ٣٩٩ كتاباً.
٦. الإمام الباقر ٦٩ كتاباً.

٧. الإمام الصادق عليه السلام ٣٣١ كتاباً.
  ٨. الإمام الكاظم عليه السلام ٢١١ كتاباً.
  ٩. الإمام الرضا عليه السلام ٦٥١ كتاباً.
  ١٠. الإمام الجواد عليه السلام ٦٢ كتاباً.
  ١١. الإمام الهادي عليه السلام ٧٩ كتاباً.
  ١٢. الإمام العسكري عليه السلام ٦٦ كتاباً.
  ١٣. الإمام صاحب الزمان - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ١١٤٥ كتاباً.
  ١٤. أهل البيت عليهم السلام ٢٢٧١.
- فيكون المجموع ٢٤٢٠٦ كتاباً. هذا وقد ذكر أنّ عدد الكتب التي ألفت حول سيرة الرسول وتاريخه عليه السلام قد بلغ ١١٤٢٧ كتاباً.
- وقد يتصور أنّه مع كلّ هذا الكم الهائل ممّا كتب فما الحاجة إذن إلى تأليف كتب أخرى حول سيرتهم؟
- ويجب أن نؤكد بأنّ حياة الأئمة والأولياء الإلهيين شأنها شأن عالم الطبيعة فيها جوانب عديدة مهما اكتشفت وكتب عنها، فستظل هناك جوانب مجهولة تحتاج لمن يكتشفها ويميط لثام الغموض عنها.
- وفضلاً عن ذلك إنّ أكثر ما كتب حول الأئمة فهو ينحصر في تجميع فضائلهم ومناقبتهم ومعجزاتهم وبالتالي في نقل أحداث حياتهم بصورة جافة بعيدة كلّ البعد عن التحليل، ثمّ إنّ الكتب التحليلية التي يمكن أن تلبي رغبات الباحثين والمحققين المعاصرين قليلة جداً، وإنّ بعضاً منها لا يتمتع من ناحية طريقة كتابتها وبيانها بالمستوى المطلوب. هذا ومن المؤكد أنّه قد ألف

وكتب عن بعض الأئمة مثل أمير المؤمنين وسيد الشهداء الحسين بن علي باللغة العربية - وربما الفارسية - بما فيه الكفاية غير أن هناك فراغاً كبيراً للكتب التحليلية العميقة والجامعة فيما يتعلق ببقية الأئمة وحياتهم ويجب - للأسف - الاعتراف بهذه الحقيقة المرة، وهي أنه ليس الناس العاديون هم الذين يجهلون حياة الإمام الجواد أو الإمام الهادي أو الإمام العسكري ؑ السياسية والأخلاقية والعلمية فقط، بل أن أغلب الخطباء والكتاب يفتقدون المعرفة الكافية بهم أيضاً. ويجب أن يهتم الكتاب بهذا الأمر أكثر في العصر الحاضر الذي يطلب فيه الجيل الشاب معرفة أوسع بحياة الأئمة السياسية والأخلاقية والاجتماعية، وذلك لأن ما يهمنا من تاريخ الرسول والأئمة المعصومين ؑ ليس هو معرفة نفس حياتهم وسلوكهم بل معرفة نوع الحياة وكيفية سلوكهم الاجتماعي ومواقفهم السياسية والاجتماعية وطبيعة نشاطاتهم الثقافية، فإننا عند ما نشاهد ومنذ القرون الأولى من ظهور الإسلام أن العلماء والمؤرخين المسلمين يكتبون حول حياة نبي الإسلام تحت عنوان سيرة النبي فذلك يكمن فيما ذكرناه.

ذلك أن ما يفيدنا ويكون لنا مثلاً نقنّدي به من حياة الرسول ودعوته ليس هو نفس حياته وتحركه ؑ، بل نوع دعوته وتحركه وطريقة دعوته وكيفية مواجهته لأعداء الإسلام، أن كلمة السيرة تعني في اللغة الحركة والمشي ومأخوذة من السير وبمعنى طريقة المشي أيضاً كما في الجلوس والجلسة فإن الأولى بمعنى القعود والثانية بمعنى كيفية الجلوس ونوعه. هذا أولاً.

وثانياً: أن نوع الحياة التي كانوا يعيشونها وكيفية مواقفهم السياسية - الاجتماعية يكون واضحاً أكثر عند ما نلم بظروفهم الاجتماعية والسياسية والثقافية الخاصة التي كانوا يعيشون فيها، وذلك أننا نعرف بأن الأئمة الأطهار كانوا يقيمون طريقة حياتهم الاجتماعية ومواقفهم السياسية وطبيعة نضالهم على أساس

من المحاسبات الدقيقة للظروف والأوضاع السائدة في عصرهم وتقييم الإمكانيات والمقتضيات والموانع وتناسباً مع نوع المواجهة مع أعداء الإسلام. وعليه ما دمنا لم نتعرف على الأوضاع والظروف الخاصة التي كانوا يعيشون فيها آنذاك، فلن يكون لسيرة الأئمة وحياتهم أي مفهوم ومعنى دقيق وواقعي. ولربما نجد من خلال مطالعة تاريخهم مواقف متناقضة لهم، لأننا نرى أن البعض منهم يصلح العدو، والآخر يقاتل حتى النفس الأخير، وثالثاً يؤسس جامعة ضخمة، والآخر يقوم بنشاط ثقافي محدود، وخامساً يرفض اقتراح الخلافة عليه، وآخر يقبل باقتراح ولاية العهد... ولكن عندما نتعرف على طبيعة ظروفهم السائدة في حياة كل واحد منهم تغدو مواقفهم المتضادة ذات معنى، ونفهم أنه لم يكن هناك أي تناقض بين مبادئهم ومواقفهم في الواقع وأنهم يتبعون هدفاً واحداً غير أن طبيعة تحرك كل واحد منهم للوصول إلى الهدف المطلوب تختلف حسب المقتضيات الزمنية وظروفها.

إن أئمتنا كانوا يؤكدون كثيراً على عامل الزمن ومعرفته - باعتباره أمراً حيوياً - فقد قال نبي الإسلام: «رحم الله من حفظ لسانه، وعرف زمانه، واستقامت طريقته»<sup>(١)</sup>.

وضمن حديث طويل قال الإمام الصادق عليه السلام: «... والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»<sup>(٢)</sup> وحينئذ كيف كان هو يجهل هذه القاعدة الحيوية في مواجهة أحداث عصره؟!

يتناول هذا الكتاب الذي بين يديك - وهو حصيلة سنوات من البحث لكاتب قدير وصبور، وفي الوقت ذاته عميق ودقيق - سيرة الأئمة الشيعة الأطهار وحياتهم بالتحليل والعرض في ضوء النقاط الهامة المذكورة آنفاً.

تقوم خطة البحث العامة في هذا الكتاب على أساس تقسيم مراحل إمامتهم عليهم السلام بعد رحلة رسول الله وحتى رحيل الإمام العسكري ٢٦٠ هـ إلى أربعة مراحل:

١. المرحلة الأولى هي مرحلة الإدارة والمسألة المصلحية للإمام مع الجهاز الحاكم آنذاك، وتشمل هذه المرحلة فترة الخمسة والعشرين عاماً التي تفصل بين رحيل النبي الأكرم وخلافة أمير المؤمنين.

٢. والثانية هي مرحلة تقلد السلطة للإمام وقد استغرقت هذه المرحلة فترة أربع سنوات وتسعة أشهر من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبضعة شهور من خلافة الإمام الحسن عليه السلام.

٣. المرحلة الثالثة هي مرحلة المحاولات البناءة القصيرة زمنياً للقضاء على الحكم الظالم وتشكيل الحكم الإسلامي العادل. وتشمل هذه المرحلة فترة العشرين عاماً الواقعة بين صلح الحسن عليه السلام - عام ٤١ هـ - واستشهاد الحسين عليه السلام - عام ٦١ هـ. فبعد انعقاد الهدنة الاضطراري بين الإمام المجتبي ومعاوية - وهو الذي سمي صلحاً - راحت نشاطات الشبه سرية للشيعة تبدأ وكانت ترمي إلى الوصول إلى هدفها الأخير وهو إرجاع الخلافة إلى أهل البيت في الفرصة المناسبة.

٤. المرحلة الرابعة هي مرحلة مواصلة النشاطات الشبه سرية للشيعة تحت اشراف الأئمة وقيادتهم ضمن خطة طويلة الأمد ويمكن تلخيص خصوصيات هذه المرحلة:

ألف: يأس الأئمة من نجاح الكفاح العسكري.

ب: بذل الجهود البناءة على أمل إيجاد الحكم الإسلامي الرباني وتقلد السلطة من قبل الأئمة في المدى البعيد.

ج: التمهيد لذلك من خلال النشاطات الثقافية وتربية الكوادر الإنسانية

## المطلوبة.

د: نشر الفكر الإسلامي الأصيل والكشف عن الانحرافات والبدع.

وقد حاول الكاتب والباحث القدير حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي البيشوائي في كتابه القيم هذا وبذل قصارى جهده أن يقدم حول حياة كل واحد من الأئمة عرضاً عاماً عن الجو السياسي والاجتماعي والثقافي الذي أحاط بهم في ضوء الوثائق التاريخية بصورة واضحة، ثم بعد ذلك يقدم الخطوط الرئيسية وأكبر نشاطاتهم الإصلاحية التي تتناسب مع ظروفهم تلك.

وبهذه النظرة يضع المؤلف كل جانب من جوانب حياة أولئك الكرام عليهم السلام كالجانب السياسي والنضالي والجانب الاجتماعي والجانب الثقافي والجانب الروحي والإعجازي... في موضعه المناسب وقد أثبت أن أنسب الأساليب - بل هو لا غير - هو ما اختار الإمام وسار على ضوئه.

إن الكتاب الذي بين يديك وهو حصيلة سنين طويلة من البحث والتأليف للمؤلف المحترم ونظراً إلى كيفية عرض وتقديم الأبحاث وطريقة الكتابة والاعتماد على المصادر... يعد من بين أقرانه شيئاً جديداً، ونأمل أن يلبي رغبة من يشاق إلى قراءة حياة الأئمة وسيرتهم. وأنا بدوري أشكر الشيخ البيشوائي الذي عرف بين كتاب الحوزة العلمية في قم بالعمق والمتابعة والصبر في البحث لما قدمه من خدمة ثقافية عظيمة، وأسأل الله تعالى أن يوفقه أكثر في سبيل خدمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

جعفر السبحاني

قم - الحوزة العلمية - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

٢٤ / ١١ / ١٣٧٢ هـ - ش - المصادف ٢ / رمضان / ١٤١٤ هـ

# الإمام الحسن العسكري عليه السلام

\* الأوضاع السياسية والاجتماعية في عصر الإمام

\* إجراءات الإمام الأمنية

\* الجوانب السبعة لنشاط الإمام

\* الاستفادة من علم الغيب على نطاق واسع

\* إعداد الشيعة لعصر الغيبة

\* سطوع شمس الحقيقة



## نبذة مختصرة عن حياة الإمام عليه السلام

ولد الإمام العسكري إمام الشيعة الحادي عشر عام ٢٣٢<sup>(١)</sup>، أبوه هو الإمام الهادي الإمام العاشر؛ وأُمّه امرأة زاهدة مؤمنة اسمها: حُديثة<sup>(٢)</sup>، وقال بعض: إنّ اسمها سوسن<sup>(٣)</sup>، وقد كانت من العارفات الصالحات، وكفى في فضلها أنّها كانت مفزع الشيعة بعد وفاة أبي محمد وفي تلك الظروف الحرجة.<sup>(٤)</sup>

ولأنّ الإمام كان يقيم في سامراء مجبراً في حي يسمّى بالعسكر بناء على أمر الخليفة العباسي سمي لذلك بالعسكري.<sup>(٥)</sup>

أشهر ألقابه الأخرى هي: النقي والزكي<sup>(٦)</sup>، وكنيته أبو محمد، كان عمره ٢٢ عاماً عندما استشهد أبوه الكريم، كانت إمامته ستة أعوام، وعاش ٢٨ عاماً، واستشهد سنة ٢٦٠ هـ ودفن في بيته بجوار أبيه في سامراء.<sup>(٧)</sup>

---

١. أصول الكافي: ١/ ٥٠٣؛ الإرشاد: ٣٣٥؛ مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٢٢؛ إعلام الوري: ٣٦٧، واعتقد المسعودي والاربلي أنّه ولادته كانت عام ٢٣١.

٢. الإرشاد: ٣٣٥؛ اعلام الوري: ٣٦٦.

٣. أصول الكافي: ١/ ٥٠٣؛ كشف الغمة: ٣/ ١٩٢.

٤. الأنوار البهية: ١٥١.

٥. علل الشرائع: ١/ ٢٣٠، باب ١٧٦؛ معاني الأخبار: ٦٥.

٦. دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري: ٢٢٣.

٧. الإرشاد: ٣٤٥؛ الإتحاف بحب الأشراف، الشيرواني: ١٧٨-١٧٩.

## الخلفاء المعاصرون للإمام عليه السلام

عاصر الإمام في مدّة إمامته القصيرة ثلاثة خلفاء عباسيين كان كل منهم أظلم من الآخر وهم:

١. المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥).

٢. المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦).

٣. المعتمد بالله (٢٥٦-٢٧٩).

راح العباسيون الذين ثاروا في بداية ثورتهم باسم العلويين والطلب بثأرهم يمارسون الظلم والاضطهاد كالأُمويين وأكثر منهم، ونسوا أو تناسوا ما وعدوا الناس به في السابق.

ولأجل تقديم صحيفة أعمال الخلفاء العباسيين السوداء الذين عاصروا الإمام، نورد ما حدث من الأحداث وكيفية حكمهم في تلك الفترة بشكل مختصر:

### ١. المعتز

وهو ابن المتوكل العباسي، وقد وصل إلى الحكم بعد عزل المستعين عام ٢٥٢، وواصل سيرة من سبقه.

سيطر الاتراك بعد قتل المتوكل على الأمور وأصبح الخلفاء تحت أمرتهم بدل أن يكونوا هم كذلك، لدرجة أنه لو رفض الخضوع لمطالبهم خططوا لخلعه أو قتله، والقصة التالية تؤكد ذلك:

لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين، وقالوا لهم: انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا له: فكم تقول إنه يعيش؟ وكم

يملك؟ قال: مهما أراد الأتراك، فلم يبق في المجلس إلا من ضحك.<sup>(١)</sup>

### قتل المعتز

وبسبب النفوذ والسيطرة التي يتمتع بها الأتراك في بلاط الخلافة كان الوضع بنحو لم يكن للخليفة فيه إلا منصب شكلي، وكان زمام الأمور بيد الأتراك حقيقة.

فحضرُوا ذات يوم إلى قصره وأخرجوه منه جرّاً برجله وضربوه بالدبابيس - الهراوات - وحرّقوا قميصه، وأقاموه في الشمس في يوم صائف، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر، وفي هذه الأثناء خلّعه من منصب الخلافة وأشهدوا على ذلك جماعة، ثم قرّروا بعد ذلك وللتخلّص أن يودّعه لدى أحدهم حتى يقضي عليه بالتجويع والتعذيب المستمر ويموت عطشاً، وهكذا وضعوا الخليفة الذي لم يكن به غير الرمتق في سرداب وسدّوا بابه عليه وبنوا عليه بالآجر حتى مات وهو حي.<sup>(٢)</sup>

### ٢. المهدي بالله

المهدي هو ثاني الخلفاء المعاصرين للإمام الحادي عشر والخليفة العباسي الرابع عشر الذي جلس على كرسي الخلافة بعد قتل أخيه المعتز عام ٢٥٥، ولم يكن المهدي (مثل أخيه أيضاً) يتمتع باستقلالية في الأمور، وكان لعبة بأيدي الأتراك المتنفذين في البلاط العباسي.

١. الفخري، ابن طقطقا: ٢٤٣.

٢. الفخري، ابن طقطقا: ٢٤٣؛ الكامل في التاريخ: ٧/ ١٩٥-١٩٦، ويوجد هناك أقوال أخرى حول كيفية مقتله راجع: تاريخ الخلفاء: ٣٦٠؛ مروج الذهب: ٩٧/٤.

كانت شخصية المهدي بالنسبة إلى الخلفاء العباسيين الآخرين شخصية معتدلة، وغير بعيدة الشبه عن شخصية عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الأمويين وكان يقول أحياناً: إني استحيي أن يكون في بني أمية مثله - عمر بن عبد العزيز - ولا يكون مثله في بني العباس .

ولذلك كان يجلس مثل عمر بن عبد العزيز للمظالم، ويهتم بأمر الناس، ويجانب الإسراف في المأكل والملبس ويقتصد فيهما، وقد أطرح الملاهية، وحرّم الشراب، ونبذ الارستقراطية بعد تقلّده الخلافة، وقد تحدث المؤرّخون حول ذلك وأثنوا عليه.<sup>(١)</sup>

ويبدو أنّ المهدي قد بادر إلى هذه الأعمال بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية، فقد كان يعرف بأنّه يوجد في المجتمع الإسلامي من هو أفضل منه بكثير وأعلم وأليق بمنصب الخلافة ولذلك كان يجب أن يمنحهم هذا المنصب ويعتزل هو عالم السياسة والحكم، ولهذا أراد أن يكون لنفسه بهذه الأعمال قاعدة شعبية، وإلاّ فإنّ شخصاً مثله يصوم نهاره ويفطر بالرخيف والخل والملح<sup>(٢)</sup> كما يدّعي بعض المؤرخين كان من المفروض أن يكبت أهواءه النفسية ورغباته ويحتقر الخلافة ويرفضها ولا يتهالك على كرسي الخلافة حتى آخر لحظاته ومقتله كأخيه المعتز، ويعرف التاريخ الكثير من هؤلاء الحكام و من المستبعد أن يكون لأعماله دوافع إلهية.

وأوضح شاهد على دنيوية المهدي وظلمه هو اعتقال الإمام الحسن العسكري وسجنه وظل معتقلاً حتى قتل وكان ينوي قتل الإمام.<sup>(٣)</sup>

١. تاريخ الإسلام السياسي: ٣/ ٣٧٧؛ مروج الذهب: ٢/ ٩٦-١٠٣؛ الفخري: ٢٤٦، الكامل في التاريخ: ٧/ ٢٣٣-٢٣٤؛ تاريخ الخلفاء: ٣٦٢.

٢. الكامل في التاريخ: ٧/ ٢٣٤؛ الفخري: ٢٤٦؛ تاريخ الإسلام السياسي: ٢/ ٣٧٧.

٣. بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١٣؛ إثبات الوصية: ٢٤٥.

## ٣. المعتمد

وهو ثالث الخلفاء العباسيين المعاصرين للإمام العسكري وقد مضت أربعة أعوام من إمامة الإمام العسكري في عهده، ولد المعتمد عام ٢٢٩، ووصل إلى الحكم على يد الأتراك عام ٢٥٦ ومات عام ٢٧٩.

وإذا كان المؤرخون قد ذكروا للمهتدي (ابن عم المعتمد<sup>(١)</sup>) ما يحمده عليه وأنشأوا على أعماله، فقد قالوا من ناحية أخرى الكثير حول فساد المعتمد وانحرافه الأخلاقي وأجمعوا على أنه مولع باللهو والخلاعة والمجون، والشيء الوحيد الذي لم يفكر فيه هو هموم الناس ومشاكلهم، ولهذا السبب رغب الناس عنه وأعرضوا وعلّقوا الآمال على أخيه الموفق: (طلحة بن المتوكل)، لأنه غرق في الفساد والانحراف الخلقي واللهث وراء أشباع الرغبات<sup>(٢)</sup>، فاستلم هو مقاليد الحكم في عهده.

وقد كتب المؤرخون حول سيطرة وسلطة الموفق في عهد المعتمد: كان المعتمد - وهو الخليفة - مستضعفاً وكان أخوه الموفق طلحة هو الغالب على أموره<sup>(٣)</sup>.

## الظروف السياسية والاجتماعية في عصر الإمام العسكري عليه السلام

وكما لاحظنا فإن الخلفاء لم يألوا جهداً في إيذاء الأئمة واضطهادهم والضغط عليهم، وقد بلغت هذه الضغوط والمضايقات ذروتها في عصر الإمام الجواد وخاصة في عصر الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام في سامراء. وقد

١. المهتدي هو ابن الواثق بن المعتصم والمعتمد هو ابن المتوكل بن المعتصم.

٢. تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٣-٣٦٧؛ مروج الذهب: ٤/١٢٣-١٣١.

٣. الفخري: ٢٥٠؛ تاريخ الإسلام السياسي، الدكتور حسن إبراهيم حسن: ٢/٣٧٨.

كانت شدة هذه الضغوط والمضايقات والاضطهادات لدرجة أنّ هؤلاء الأئمة الثلاثة الذين كانوا يقيمون في سامراء مركز الحكم قد فارقوا الحياة مستشهدين وهم في ريعان شبابهم: فالإمام الجواد استشهد في الخامسة والعشرين، والإمام الهادي في الواحد وأربعين، والإمام العسكري في الثامنة والعشرين، فيكون مجموع أعمارهم ٩٢ عاماً، وهذا يوضح مدى الإيذاء والتعذيب والاضطهاد الذي لاقوه في حياتهم، ولكن درجة الضغط والمضايقة في عهد الإمام العسكري كانت أكبر منها في عهد الإمامين الآخرين، وذلك لسببين:

١. قد تحوّلت الشيعة في عصر الإمام العسكري إلى قوة ضخمة في العراق، وكان الجميع يعلم بأنهم مخالفون للخلفاء والحكام ولا يعترفون بشرعية أي واحد من العباسيين ويؤمنون بأنّ الإمامة الإلهية باقية في أولاد علي عليه السلام، وكانت الشخصية البارزة لهذا البيت في تلك الفترة هو الإمام الحسن العسكري.

والشاهد على قوة الشيعة آنذاك هو اعتراف عبيد الله وزير المعتمد بذلك، فقد ذهب جعفر الكذاب أخو الإمام العسكري بعد استشهاده إلى عبيد الله وقال: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار؛ فزبره وقال: يا أحمق إنّ السلطان جرد سيفه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهيأ له، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى مرتب.<sup>(١)</sup>

٢. كان البيت العباسي وحاشيته يعلمون طبقاً للروايات المتواترة بأنّ المهدي المنتظر المبيد لجميع الحكومات المستبدة سيكون من أولاد الحسن العسكري عليه السلام، ولهذا كانوا يراقبون كل صغيرة وكبيرة في حياة الإمام على أمل

١. كشف الغمة: ٣/ ١٩٧؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٢٢؛ أصول الكافي: ١/ ٥٠٣؛ الإرشاد:

٣٣٨؛ إعلام الوري: ٣٧٦؛ روضة الواعظين: ٢٧٤؛ أعيان الشيعة: ٢/ ٤٣.

الحصول على ابنه عليه السلام للقضاء عليه - مثل محاولة الفراعنة البائسة للقضاء على موسى - كما سنوضحه في كيفية استشهاد الإمام.

ولما ذكرنا من الأسباب كان الضغط والاضطهاد على الإمام العسكري شديداً للغاية وأخضعوه للمراقبة من كل ناحية.

وقد بلغ قلق الحكم العباسي من مكانة الإمام الاجتماعية وشعبيته حداً جعلهم يجبرون الإمام على الحضور في البلاط كل اثنين وخميس من الاسبوع.<sup>(١)</sup> ولم يكتف العباسيون بذلك، فقد اعتقل المعتز الإمام وسجنه<sup>(٢)</sup> لشدة خوفهم وتوجسهم حتى أمر سعيداً الحاجب بحمل الإمام إلى الكوفة وأن يقتله في الطريق غير أن الأتراك قد قتلوه بعد ثلاثة أيام.<sup>(٣)</sup>

١. المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٤؛ دلائل الإمامة، الطبري ص ٢٢٦؛ بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٥١. نعم وعلى الرغم من نية الخليفة الخبيثة كان كلما تأتي نوبة حضور الإمام للبلاط يحضر من الناس المشتاقين لرؤيته عليه السلام جمع كبير ويغص الشارع بهم وبدوابهم ويضج بحيث لا يكون لأحد مجال للمشي فيه وتسد الطرق فإذا جاء الإمام سكن ضجيج الناس وهذا صهيل الخيل وتفرقت الناس وبهائمهم حتى يصير الطريق واسعاً يمكن المشي فيه، فيرجع الوضع الطبيعي إلى الشارع بعد مرور الإمام. (الغيبة، الطوسي: ٢٩).

ولعلّه يطرح هذا السؤال هنا وهو مع أن الجهاز الحاكم أصبح ضعيفاً متضععاً وسيطر الأتراك على الأمور، فكيف استمر الضغط على الإمام واضطهاده بنفس الدرجة؟  
وجواباً على ذلك يجب أن يقال: إن القلق من قوة الإمام الروحية والمعنوية لو كان ينتاب الخليفة وحاشيته فقط لكان الأمر سهلاً وكان الإمام يستطيع أن يمارس نشاطه وبطرق مختلفة وبسرية، غير أن هذا الخوف والقلق كان قد ألقى بظله على شريحة سياسية كبيرة كان الخليفة جزءاً منها، وهي تشمل القواد وجميع الذين لهم مع الحكم العباسي مصالح مشتركة. ولهذا السبب كان فرض الضغوط والمضايقات على الإمام يشكل المحور الأساسي للجهاز الحاكم، وحتى لو قتل خليفة وجاء آخر فإن ذلك لم يكن ليتغير.

٣. بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١٣.

٢. بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١١.

وقد سجن المهدي بعد المعتز الإمام العسكري مرة أخرى ونوى أن يقتله ولكن الله لم يمهلهم وثار الأتراك عليه وقتلوه.<sup>(١)</sup>

### إجراءات الإمام الأمنية

ومضافاً إلى ما قلنا آنفاً هناك أدلة ووثائق تدلّ من ناحية على مدى خباثة ومكر البلاط العباسي وضخامة مخططاته الشيطانية بحق الإمام وأصحابه وعلى صحوة الإمام ويقظته وإجراءاته الأمنية وتوحيه الحذر، وسنشير إلى بعض من ذلك:

١. قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري<sup>(٢)</sup>: كنت في الحبس أنا وجماعة إذ دخل علينا أبو محمد العسكري وأخوه جعفر فخففنا له - أسرعنا إلى خدمته - وحففنا به، وكان معنا في الحبس رجل جُمحي (خ ل: أعجمي) يدعي أنه علوي، فالتفت الإمام أبو محمد فقال: «لولا أنّ فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم» وأوماً عليه السلام إلى الجمحي أن يخرج فخرج فقال الإمام عليه السلام: «هذا ليس منكم فاحذروه، فإنّ في ثيابه قصة (تقريباً) قد كتبها إلى السلطان يخبره فيها بما تقولون فيه».

فقام بعضهم ففتّش ثيابه، فوجد القصة والتقرير يذكرنا فيها بكلّ عظمة! <sup>(٣)</sup> تدلّ هذه القضية على أنّ الإمام وشيعته مراقبون حتى وهم في السجن.

٢. وقال أحمد بن إسحاق أحد أصحاب الإمام: دخلت على أبي محمد عليه السلام

١. الغيبة، للطوسي: ١٣٤. ٢. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: ٨/ ٣٦٩.

٣. الفصول المهمة، المالكى: ٣٠٤؛ نور الأبصار، الشبلنجي: ١٦٦، كشف الغمة: ٣/ ٢٢٢؛ إعلام الوري: ٣٧٣؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٧.

فسأله أن يكتب لي لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد (ولكي لا يتمكن الأعداء من تزويره).

قال عليه السلام: «إن الخط سيختلف عليك من بين القلم الغليظ إلى القلم الدقيق فلا تشكّن»<sup>(١)</sup>.

٣. وقال أحد أصحاب الإمام: اجتمعنا بالعسكر (سامراء) وترصدنا لأبي محمد العسكري عليه السلام يوم ركوبه فخرج توقيعه: «ألا لا يسلمن عليّ أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ أحدكم، فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم»<sup>(٢)</sup>.

٤. وقال عبد العزيز البلخي: أصبحت يوماً وجلست في شارع سوق الغنم فإذا أنا بأبي محمد العسكري عليه السلام قد أقبل يريد باب العامة بسامراء، فقلت في نفسي تراني إن صحت يا أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه يقتلونني، فلما دنا مني ونظرت إليه أومأ إليّ باصبعه السبابة ووضعها على فيه أن اسكت، فأسرعت إليه حتى قبلت رجله، فقال لي: «أما إنك لو أذعت لهلكت» ورأيت تلك الليلة يقول: «إنما هو الكتمان أو القتل، فأبقوا على أنفسكم»<sup>(٣)</sup>.

٥. خرج رجل من العلويين من سامراء إلى الجبل - يطلق على الأماكن الجبلية الممتدة من غرب إيران إلى همدان وقزوین - يطلب الفضل، فتلّقه رجل بحلوان، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من سامراء، قال: هل تعرف درب كذا وموضع كذا، قال: نعم، فقال عندك من أخبار الحسن بن علي العسكري، قال: لا.

قال: فما أقدمك الجبل؟ قال: طلب الفضل - للتجارة - قال: فلك عندي

١. المناقب: ٤/ ٤٣٣.

٢. بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٦٩.

٣. إثبات الوصية: ٢٤٣.

خمسون ديناراً فاقبضها وانصرف معي إلى سامراء حتى توصلني إلى الحسن بن علي، فقال: نعم، فأعطاه المال وعاد العلوي معه وأوصله إلى بيت الإمام.<sup>(١)</sup>

وتدلّ هذه القضية أيضاً على مدى صعوبة الالتقاء بالإمام بسبب أجواء الرعب والرقابة المفروضة من قبل الحكومة.

ومن ناحية أخرى أنّ المال الذي بذله الرجل الحلواني إزاء إيصاله إلى بيت الإمام يبيّن أهمية الالتقاء بالإمام في تلك الفترة حيث كان يعدّ الخمسين ديناراً مبلغاً كبيراً نسبياً في ذلك الزمن، إذ يرى بعض العلماء أنّ الدينار في ذلك الوقت يساوي بعيراً<sup>(٢)</sup>، وعليه فإنّ الخمسين ديناراً في تلك الفترة يعني ان تتمكن في زمننا هذا من شراء خمسين بعيراً.

### الجوانب السبعة لنشاط الإمام العسكري عليه السلام

وعلى الرغم من كلّ هذا الرعب والاضطهاد والمراقبة - التي يفرضها الحكم العباسي - راح الإمام العسكري يمارس نشاطاته السياسية والاجتماعية والعلمية للدفاع عن الإسلام ومواجهة الأفكار اللا إسلامية ويمكن حصرها بالنحو التالي:

١. المساعي العلمية في الدفاع عن الدين الإسلامي ومواجهة الشبهات والإشكاليات وعرض الفكر الإسلامي الأصيل.

٢. إيجاد شبكة اتصالات مع الشيعة في المناطق المختلفة من خلال نصب الوكلاء والممثلين والمراسلات.

٣. ممارسة النشاطات السياسية السرية رغم أجواء الرعب والرقابة من قبل

١. كشف الغمة: ٢١٦/٣.

٢. حياة الإمام العسكري، القرشي: ١٨١.

الحكم العباسي.

٤. دعم الشيعة مالياً لا سيما أصحابه المقربين.

٥. توجيه رجال الشيعة وشخصياتهم البارزة سياسياً والوقوف إلى جانبهم في الأزمات.

٦. الإفادة الواسعة من العلم الغيبي لاستقطاب المعاندين ورفع معنويات الشيعة.

٧. إعداد الشيعة لمرحلة غيبة ابنه الإمام الثاني عشر عليه السلام.

والآن سنتناول كلّ واحد من هذه النشاطات بشكل مستقل.

### ١. النشاطات العلمية

وعلى الرغم من أنّ الإمام العسكري وبسبب الظروف العصيبة والمضايقات الكبيرة التي كان يتلقاها من الحكم العباسي لم ينجح في بث معارفه الواسعة على نطاق المجتمع بشكل عام، غير أنّه ورغم تلك الظروف ربّى وعلم طلاباً كان لكل واحد منهم دور في نشر المعارف الإسلامية ومواجهة شبهات الأعداء.

وقد عدّ الشيخ الطوسي تلامذة الإمام بما يزيدون على المائة<sup>(١)</sup> وكان من بينهم شخصيات بارزة ووجوه معروفة ورجال فضلاء، مثل: أحمد بن إسحاق القمي، أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري، عبد الله بن جعفر الحميري، أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، علي بن جعفر، و محمد بن الحسن الصفار، ولا يسع هذا الكتاب البحث حول جهود ومسااعي هؤلاء الرجال وخدماتهم، ويمكن معرفة حياتهم المفعمّة بالفخر والعبر والدروس من خلال مراجعة الكتب الرجالية.

١. رجال الطوسي: ٤٢٧.

ومضافاً إلى تعليم وتربية الرجال والشخصيات كانت تظهر بعض المشكلات والشبهات العويصة للمسلمين لا يمكن حلها ومعالجتها إلا على يد الإمام الحسن العسكري. فقد كان الإمام في هذه المواقف يخترق السدود و الموانع بحنكة عالية، ويقدم الحلول في ضوء علم الإمامة، ولتبين ذلك نكتفي بذكر انموذجين:

### ألف. خطأ الفيلسوف!

كتب ابن شهر آشوب: أنّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق<sup>(١)</sup> في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن، و شغل نفسه بذلك، وتفرّد به في منزله، وأنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري. فقال عليه السلام له: «أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟». فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا وفي غيره.

فقال عليه السلام له: «أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟».

فقال: نعم.

قال عليه السلام: «فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فأنّه يستدعي ذلك منك، فقل له إن أذاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم

١. الفيلسوف الذي كتب هذا الكتاب هو ابن إسحاق الكندي ويدعى يعقوب، وليس هو إسحاق وطبقاً لما كتبه محمد لطفي جمعة كان لإسحاق إمارة الكوفة في عهد ثلاثة من الخلفاء العباسيين أي المهدي والهادي وهارون. (تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ص ١).  
لعله قد خلطوا بين اسم الأب وابنه أو سقط اسم الابن عند الاستنساخ.

منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك أنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه».

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أقسمت عليك ألا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟!!

فقال: أمرني به أبو محمد الإمام العسكري.

فقال: الآن جئت بالحق، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، فهم الذين يمكنهم أن يكشفوا عن الحقيقة.

ثم إنه - و بعد ان عرف الحقيقة وخطئه - دعا بالنار وأحرق جميع ما ألفه.<sup>(١)</sup>

١. وقد روى هذه الرواية ابن شهر آشوب في المناقب: ٤/ ٤٢٤ عن كتاب التبديل لأبي القاسم الكوفي، وقد أظهر بعض العلماء المعاصرين الشك في صحتها وكتب: وهذه الرواية تدل على أن الكندي مرّ بمرحلة فكرية لم يكن يعترف فيها بالإسلام، وهو وإن كان أمراً محتملاً إلا أننا لا نستطيع التثبت بهذه الرواية ضد الكندي - فإنه يرويها ابن شهر آشوب في المناقب عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل مرسلة بدون سند - فأنها من المراسيل التي لا تصلح للإثبات التاريخي (محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى: ١٩٦) غير أنه ونظراً إلى بعض أفكار الكندي المذكورة في كتب تاريخ الفلاسفة الإسلاميين لا يبدو ذلك أمراً مستبعداً.

كما كتب حنّا الفاخوري و خليل الجر خلال عرض أفكاره الفلسفية فقالا: وقد يلحظ التناقض بين التعاليم الفلسفية وآيات القرآن وهو ما دفع البعض لمخالفة الفلسفة. وجه الكندي حل هذه التناقضات في تأويل الآيات وكان يقول: إنّ للكلمات العربية معنيين معنى حقيقي ومعنى مجازي، ومن خلال ذلك يمكن للمفكر أن يدرك المعنى المجازي لها من منطوق بعض الآيات من خلال التأويل. تاريخ فلسفه در جهان اسلامي: ٢/ ٣٨٠.

## ب. الجاثليق يبسط راحتيه

قحط الناس بسامراء قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد أن يخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب كلما مَدَّ يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعالهم، فهطلت السماء بالمطر، وسقوا سقياً شديداً حتى استعفوا.

فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصبا ومال بعضهم إلى دين النصرانية، فشق ذلك على الخليفة، فأمر أن يخرج الإمام العسكري من السجن وأحضره، فقال له: أدرك أمة جدك .

فقال ؑ: «دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث».

فقال الخليفة: قد استعفى الناس من المطر واستكفوا، فما فائدة خروجهم؟! قال ؑ: «لأزِيلَ الشك عن الناس».

فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث، فخرجوا وخرج الإمام ؑ ومعه خلق كثير، فوقف الرهبان ورفعوا أيديهم إلى السماء فغيمت في الوقت ونزل المطر.

فأمر الإمام ؑ أن يقبض على يد الراهب ويؤخذ ما فيها، فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي أسود، فأخذه ؑ ولفه في خرقة وقال: «استسق الآن» ففعل ورفع يده فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك!!

وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد.

فقال ؑ: «عظم نبي من أنبياء الله عزوجل ظفر به هؤلاء من بعض

قبورهم، وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلّا هطلت بالمطر». فامتحن الناس ذلك فوجدوه كما قال عليه السلام<sup>(١)</sup>.

تسببت هذه القضية في الإفراج عن الإمام عليه السلام وازدياد شعبيته واحترامه في الرأي العام، وقد استغل الإمام هذه الفرصة وطلب من الخليفة الإفراج عن أصحابه الذين كانوا سجناء معه، فأفرج عنهم.

## ٢. إيجاد شبكة اتصالات مع الشيعة

اتّسعت رقعة التشيع في عهد الإمام العسكري وامتدت إلى مدن ومناطق مختلفة ومركز الشيعة في عدة مدن. فقد كانت الكوفة، بغداد، نيشابور، قم، آبه (آوه)، المدائن، اليمن، الري، آذربايجان، سامراء، جرجان والبصرة تعد جميعاً من مراكز الشيعة، وقد كانت سامراء، الكوفة، بغداد، قم، نيشابور، تتمتع - ولأسباب خاصة - بأهمية كبيرة من بين تلك المدن.<sup>(٢)</sup>

وقد أوجب تباعد المراكز الشيعية وجود شبكة اتصالات منظمة تؤمّن اتصال الشيعة بالإمامة من جهة واتّصالهم ببعض من جهة أخرى، ويتم من خلال ذلك توجيههم دينياً وسياسياً وتعبوياً.

كانت الحاجة إلى هذه الشبكة ملحة وماسة منذ عهد الإمام التاسع عليه السلام، وكما أشرنا في حياة ذلك الإمام عليه السلام والإمام العاشر فإن إيجاد شبكة الاتصال النيابية ونصب الوكلاء في مختلف المناطق منذ ذلك العهد إنّما كان بهدف إيجاد

١. نور الأبصار: ١٦٧، الشبلنجي؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/٤٢٥؛ كشف الغمة، الاربلي: ٣/٢١٩؛ الصواعق المحرقة: ٢٠٧؛ الفصول المهمة: ٣٠٤-٣٠٥.

٢. حياة الإمام العسكري، الطوسي: ٢٢٣-٢٢٦؛ تاريخ الشيعة، محمد حسين المظفر، ص ٦٢، ٧٨،

هذا الجهاز.

وقد طبق هذا المنهاج في عهد الإمام العسكري أيضاً، فقد انتخب الإمام عليه السلام شخصيات شيعية بارزة، ليكونوا وكلاءه في مناطق عديدة، وكان على اتصال بهم، وبذلك كان يراقب أوضاع الشيعة فيها من خلال ذلك، والوثائق والروايات التاريخية تؤكد ذلك. ويمكن الإشارة إلى إبراهيم بن عبده ممثل الإمام في نيشابور من بين ممثليه. وخلال رسالة تفصيلية إلى إسحاق بن إسماعيل وشيعة نيشابور وبعد أن بين دور الإمامة في هداية الأمة الإسلامية وقيادتها والتأكيد على ضرورة إطاعة الأئمة والتحذير من مغبة عصيان أوامرهم كتب الإمام عليه السلام.

«... يا إسحاق أنت رسولي إلى إبراهيم بن عبده وفقه الله أن يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري... وأن يعمل كل من خلفك ببلدك بما ورد عليكم في كتابي المذكور... ويقرأ إبراهيم بن عبده كتابي هذا و من خلفه ببلده حتى لا يسألوني ولا يتساءلون... وعلى إبراهيم بن عبده سلام الله ورحمته وعليك يا إسحاق وعلى جميع موالي السلام كثيراً... وكل من قرأ كتابنا هذا من موالي أهل بلدك و من هو بناحيتمكم ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق، فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم بن عبده، وليحمل ذلك إبراهيم إلى الرازي<sup>(١)</sup>، أو إلى من يسمي له الرازي، فإن ذلك عن أمري ورأيي...»<sup>(٢)</sup>.

ويفهم من هذه الرسالة مضافاً إلى قضية جمع أموال الشيعة التي كان لها دور كبير في تقوية البنية الاقتصادية للجهة الشيعية أن وكلاء الإمام كانوا

١. المراد ظاهراً هو أحمد بن إسحاق الرازي أحد كبار شيعة الري ومن ممثلي الإمام العسكري. حياة الإمام العسكري، الطوسي، ص ٣٣٢.

٢. اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٥٧٥-٥٨٠، الحديث ١٠٨٨؛ بحار الأنوار: ٥٠/٣٢١-٣٢٣. وقد جاءت هذه الرسالة باختصار في تحف العقول أيضاً ص ٤٨٤.

يتمتعون بدرجات مختلفة من الوظائف والمسؤولية، وإن لكل واحد منهم مجالاً خاصاً لنشاطاته، وكانت الأموال المأخوذة يجب أن تنتهي في النتيجة إلى الوكيل والممثل الرئيسي، ومنه تنتقل إلى الإمام عليه السلام .

وكتب الإمام - ولعله لتقوية مكانة إبراهيم بن عبده وموقعيته وتحديد مجال وظيفته - رسالة إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي:

«فقد نصبت لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند مواليّ هناك، فليتقوا الله وليراقبوا، وليؤدّوا الحقوق، فليس لهم عذر في ترك ذلك، ولا تأخير»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ بعض الشيعة كان قد شكّ في أن يكون ما ذكر حول إبراهيم هو نفس خط الإمام عليه السلام، واحتمل أن يكون مزوراً، ولهذا كتب الإمام في رسالة مستقلة: «وكتابي الذي ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيلي إياه لقبض حقوقي من مواليّ هناك، نعم هو كتابي بخطي»<sup>(٢)</sup>.

ومن وكلاء الإمام وممثليه أحمد بن إسحاق بن عبد الله القمي الأشعري، الذي كان من خواص أصحاب الإمام، ومن الشخصيات الشيعية البارزة في قم. وقد اعتبره بعض علماء الرجال حلقة الوصل بين الإمام والقميين ومن خواص أصحابه<sup>(٣)</sup>.

غير أنّ البعض الآخر منهم عدّه من وكلاء الإمام و نوابه<sup>(٤)</sup>.

١. اختيار معرفة الرجال: ٥٨٠، الحديث ١٠٨٩.

٢. المصدر نفسه، الحديث ١٠٨٩.

٣. فهرست أسماء مصنفّي الشيعة، النجاشي، ص ٦٦؛ الفهرست، الطوسي، ص ٢٣.

٤. حياة الإمام العسكري، ص ٣٣٣.

و يبدو من رواية في بحار الأنوار أنه كان وكيلاً للإمام في الأوقاف بقم. <sup>(١)</sup>

وكتب محمد بن جرير الطبري: كان أحمد بن إسحاق القمي الأشعري أستاذاً الشيخ الصدوق ووكيل الإمام أبي محمد العسكري، ولما قضى الإمام أصبح وكيلاً لصاحب الأمر، وظهرت من ناحيته عليه السلام تواقيع باسمه، وكان يجمع الحقوق من قم ونواحيها ويرسلها إلى الإمام عليه السلام. <sup>(٢)</sup>

وكان مع أحمد بن إسحاق - من أموال قم - جراب قد ستره بكساء طبري، وكان فيه مائة وستون صرة من الذهب والفضة دفعها إلى الإمام، ويدل هذا المبلغ الكبير على الحقوق المأخوذة من الشيعة. <sup>(٣)</sup>

ومن وكلاء الإمام إبراهيم بن مهزيار الأهوازي. فقد اجتمعت لديه حقوق وأموال ولم يوفق في دفعها إلى الإمام العسكري، ولما مرض إبراهيم بعد استشهاد الإمام عليه السلام أوصى ابنه بأن يأخذها إلى صاحب الزمان عليه السلام، ففعل ونصب وأقيم مقام أبيه من قبل الإمام الثاني عشر. <sup>(٤)</sup>

وقد كان على رأس وكلاء الإمام محمد بن عثمان العمري الذي كان حلقة الوصل بينهم وبين الإمام، فكانوا يأتون بالأموال إليه، وهو بدوره يدفعها إلى الإمام عليه السلام. <sup>(٥)</sup>

١. البحار: ٥٠/٣٢٣.

٢. دلائل الإمامة: ٢٧٢.

٣. الاحتجاج: ٢٥٧.

٤. الإرشاد: ٣٥١؛ إعلام الوري: ٤٤٥؛ قاموس الرجال: ١/٣١٦؛ أصول الكافي: ١/٥١٨.

٥. اختيار معرفة الرجال: ٥٣٢؛ قاموس الرجال: ١/٣١٥. وقد نصب العمري فيما بعد وكيلاً للإمام صاحب الزمان، وسوف نشير إلى فضله ومنزلته في الصفحات الآتية إن شاء الله.

## الرسائل والرسائل

وكان الإمام مضافاً إلى شبكة الاتصالات النيابية يتصل بشيعته من خلال إرسال الرسائل والمبعوثين، فكان يعالج مشاكل الشيعة عن هذا الطريق، وعلى سبيل المثال يمكن أن نذكر أبا الأديان - أحد أصحاب الإمام المقربين - ونشاطاته شاهداً على ذلك<sup>(١)</sup>، فقد كان يحمل رسائل الإمام وخطاباته إلى شيعته، ويحمل منهم أيضاً الرسائل والأسئلة والخمس والحقوق الأخرى إليه (الإمام العسكري) في سامراء.

وسنشير إلى آخر مهمة وسفرة له وقد حدثت في الأيام الأخيرة من حياة الإمام العسكري في القسم الذي تناولنا فيه كيفية استشهاد الإمام. وفضلاً عن المبعوثين كان الإمام يتصل بالشيعة عن طريق المراسلة أيضاً، فكان ينعم عليهم من خلال ذلك بتوجيهاته وإرشاداته.

فالرسالة التي بعث بها الإمام إلى ابن بابويه - والتي سنذكرها في فصل الدعم والتوجيه السياسي لعناصر الشيعة البارزة - تعد نموذجاً من تلك الرسائل<sup>(٢)</sup>.

ناهيك عن الرسالتين اللتين كتبهما الإمام إلى شيعة قم وآبه (آوه) وهما موجودتان في كتبنا<sup>(٣)</sup>.

١. مات أبو الأديان البصري في أواخر القرن الثالث، وكنيته الحقيقية أبو الحسن، وقد اشتهر بهذه الكنية، لأنه ناظر جميع أصحاب المذاهب والأديان وردّ عليهم. ربحانة الأدب، المدرس التبريزي: ٥٧٠ / ٧. إن اختيار أبي الأديان لهذه المهمة يدل على أن الإمام عليه السلام كان يعين أشخاصاً معينين لهذا النوع من الأعمال.

٢. المناقب، ابن شهر آشوب: ٤ / ٤٢٥؛ بحار الأنوار: ٥٠ / ٣١٧؛ معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة: ٢ / ٢٦٥.

٣. معادن الحكمة: ٢ / ٢٦٤؛ البحار: ٥٠ / ٣١٧.

وتوجد رسائل أخرى أيضاً للإمام كتبها لمناسبات مختلفة.<sup>(١)</sup>  
وطبقاً لإحدى الروايات كان الإمام العسكري عليه السلام قد كتب قبيل رحيله  
بلحظات في صباح يوم الثامن من ربيع الأول عام ٢٦٠ هـ رسائل عديدة إلى أهل  
المدينة.<sup>(٢)</sup>

### ٣. النشاطات السياسية السرية

وعلى الرغم من كل المضايقات والضغط والرقابة التي كان يفرضها جهاز  
الخلافة كان الإمام يمارس ويقود مجموعة من النشاطات السياسية السرية ومن  
خلال اختيار أساليب دقيقة جداً في التغطية كان يبعد عنه عيون الجواسيس  
اليقظة، وتتوفر أمثلة كثيرة فيما يتعلق بذلك نشير إلى نموذجين منها:

ألف. فقد كان عثمان بن سعيد العمري الذي كان من أقرب أصحاب  
الإمام منزلة لديه<sup>(٣)</sup> يمارس نشاطه تحت غطاء تجارة السمن، وكان الشيعة الذين  
يريدون دفع الحقوق إلى الإمام ينقلونها إليه، وهو يحملها إلى الإمام بعد أن يجعلها  
في جراب السمن وزقاقه.<sup>(٤)</sup>

ب. قال داود بن الأسود خادم الإمام ووقاد حمامه: دعاني سيدي أبو محمد  
العسكري فدفع إليّ خشبة كأنها رجل باب مدورة ملء الكف، فقال: «صر بهذه  
الخشبة للعمري» فمضيت فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل،

١. تحف العقول: ٤٨٦.

٢. البحار: ٥٠ / ٣٣١.

٣. تشرف عثمان بن سعيد فيما بعد بنبابة الإمام الثاني عشر في الغيبة الصغرى، وستناول سيرته في  
فصل نواب الإمام الثاني عشر إن شاء الله.

٤. الغيبة، الطوسي، ص ٢١٤؛ سفينة البحار، الشيخ عباس القمي: ١٥٨ / ٢.

فزاحمني البغل على الطريق، فناداني السقاء صبح على البغل، فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت البغل، فانشقت، فنظرت إلى كسرهما، فإذا فيها كتب فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمّي، فجعل السقاء يناديني ويشتمني....

فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب فقال يقول لك مولاي أعزه الله: «لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟».

فقلت له: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب.

فقال عليه السلام: «ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه؟ إياك بعدها أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شائماً، فامض إلى سبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا أو تعرفه من أنت، فإننا في بلد سوء و مصر سوء، و امض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك.»<sup>(١)</sup>

وتدل هذه الرواية على أن الإمام كان يضع رسائله السرية في جوف الخشب، ويبعث بها إلى عثمان بن سعيد الذي كان موضع ثقته وسره، ويأمر بذلك وقاد الحمام الذي عمله جمع الخطب وكسره، وبالطبع أن ذلك لا يثير الشك لدى الآخرين، ولكن كاد عدم توخي الاحتياط يفضح كل ذلك.

#### ٤. دعم الشيعة مالياً

ومن المواقف الأخرى للإمام العسكري عليه السلام هو دعم واسناد الشيعة من الناحية المالية لا سيما أصحابه المقربين، ويتضح من خلال دراسة حياته جيداً أنه كان بعض أصحابه يشكو إليه العسر والضيق المالي أحياناً فيحل عليه مشكلته، ويتفق أنه عليه السلام يبادر إلى حل مشاكلهم المالية قبل أن يظهروا ذلك.

هذه المواقف التي اتخذها الإمام تجاه أصحابه كانت تمنع من أن ينجذبوا تحت الضغوط المالية إلى الحكم العباسي الظالم، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى أمثلة من ذلك:

ألف. قال أبو هاشم الجعفري<sup>(١)</sup>: كنت مضيقاً فأردت أن أطلب منه معونة فاستحييت، فلمّا صرت إلى منزل لي، وجّه إليّ بمائة دينار، وكتب إليّ: «إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم واطلبها، فإنّك ترى ما تحب إن شاء الله». <sup>(٢)</sup>

ب. قال علي بن زيد العلوي: أعطاني أبو محمد العسكري عليه السلام دنانير قال: «اشتر بهذه الدنانير جارية، فإنّ جاريتك قد ماتت». فأتيت داري وإذا بالجارية قد شرقت وماتت. <sup>(٣)</sup>

ج. قال أبو هاشم الجعفري: شكوت إلى الإمام العسكري عليه السلام الحاجة، فحك بسوطه الأرض، فأخرج منها سبيكة نحو الخمسمائة دينار فقال عليه السلام: «خذها يا أبا هاشم واعذرنا». <sup>(٤)</sup>

د. حجّ أبو طاهر بن بلال فنظر إلى علي بن جعفر<sup>(٥)</sup> وهو ينفق النفقات العظيمة، فلمّا انصرف كتب بذلك إلى أبي محمد العسكري عليه السلام، فوقع في رقعة:

١. تحدثنا حول شخصية الجعفري وفضله فيما مضى من الصفحات.

٢. الإرشاد ص ٣٤٣؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٩؛ إثبات الوصية: ٢٤٢؛ أعيان الشيعة، السيد الأمين: ١/ ٤٠؛ إعلام الوري: ٣٧٢؛ أصول الكافي: ١/ ٥٠٨.

٣ و٤. المناقب: ٤/ ٤٣١؛ كشف الغمة: ٣/ ٢١٨.

٥. علي بن جعفر أحد أصحاب الإمامين الهادي والعسكري المقربين إليهما، وقد كان فاضلاً مرضياً، ومن وكلائهما، واعتقل لفترة من قبل المتوكل بذنب ممثلته عن الإمام الهادي، ورحل إلى مكة بعد إطلاق سراحه بأمر الإمام واستقر هناك، ويحتمل أنّه كان هناك عندما شاهده أبو طاهر ينفق الأموال. حياة الإمام العسكري، القرشي، ص ١٥٥—١٥٦؛ الغيبة، ص ٢١٢؛ تنقيح المقال: ٢/ ٢٧١—٢٧٢؛ اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٣ و٦٠٧.

«قد كنّا أمرنا له بمائة ألف دينار، ثمّ أمرنا له بمثلها فأبى قبوله إبقاء علينا ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه» ودخل علي بن جعفر بعد ذلك على الإمام عليه السلام فأمر له بثلاثين ألف دينار.<sup>(١)</sup> تدلّ هذه الرواية أنّ علي بن جعفر كان ينفق مبالغ ضخمة في الحجاز، وعلى الرغم من أنّ الرواية لم تعيّن مجال صرف هذه الأموال غير أنّ ضخامتها تدلّ على أنّ هذا يدخل ضمن مخطط كبير مدروس، ومن المؤكد أنّ فقراء الشيعة وشخصياتهم الكبيرة والمناضلة كانوا يستفيدون منها، وكان هذا المنهاج يطبق في ضوء توجيهات الإمام ودعّمه.

ولا يجب الشك والترديد في دفع الإمام لهذه المبالغ باعتبار الحظر المفروض عليه، لأنّه عليه السلام وعلى الرغم من أنّ نشاطاته الاجتماعية والسياسية كانت تخضع لمراقبة شديدة من قبل الحكم العباسي؛ كانت تصله مبالغ طائلة من الشيعة من مختلف البلدان من خلال وكلائه.

فإنّ التاريخ مثلاً يقول بأنّ رجلاً جاء من جرجان إلى الإمام يحمل حقوفاً وأموالاً أتى بها من شيعة تلك البلاد وقدمها إلى مبارك خادم الإمام.<sup>(٢)</sup>

وآخر قد جاء من بلاد الجبل (من النواحي الجبلية في إيران حتى قزوین وهمدان) وصل إلى الإمام بمساعدة أحد العلويين، فدفع إليه أربعة آلاف دينار.<sup>(٣)</sup> وحمل وكيل الإمام في قم - أحمد بن إسحاق - جراباً فيه مائة وستون صرة من الذهب والفضة أخذها من الشيعة هناك ودفعها إلى الإمام.<sup>(٤)</sup>

١. الغيبة، الطوسي، ٢١٢، ورويت هذه الرواية في المناقب أيضاً باختلاف يسير، ويعتقد الكاتب أنّ ما نقل في كتاب الغيبة أقرب للصحة.

٢. كشف الغمة: ٣/٢١٧. ٣. المصدر نفسه: ٢١٦.

٤. الاحتجاج: ٢٥٧.

وفضلاً عن ما ذكرنا كانت توجد حقوق وأموال طائلة أيضاً جمعت من قبل وكلاء الإمام العسكري والتي قد تأخر تحويلها بسبب استشهاد الإمام العسكري ثم دفعت إلى إمام الزمان.

وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى هذا النوع هو ما كان بحوزة إبراهيم ابن مهزيار الذي دفعها من بعد موته ابنه محمد إلى وكيل الإمام<sup>(١)</sup>. وكذلك السبعمائة دينار التي كانت بحوزة أحد أهالي الجبل<sup>(٢)</sup> والخمسمائة دينار التي كانت بيد أحد الشيعة باسم عمران الهمداني<sup>(٣)</sup>.

#### ٥. توجيه رجال الشيعة سياسياً ودعم شخصياتهم البارزة

إنّ من أروع نشاطات الإمام العسكري السياسية هو توجيه رجال الشيعة المهمين ودعمهم سياسياً في قبال التحديات والضعوط السياسية لحماية أهداف التشيع العظيمة؛ وانطلاقاً من أنّ شخصيات الشيعة البارزين كانوا أكثر عرضة للضعوط، كان الإمام وحسبها يقتضيه الموقف يرفع من معنوياتهم ويزرع الثقة في أنفسهم ويوجههم كي يكونوا أكثر صبراً ووعياً وتحملاً أمام ما يتلقونه من الضغوط والاضطهاد والفقر والفاقة، ولأجل أن يقوموا بمهامهم الاجتماعية والسياسية والدينية الكبرى على أحسن وجه .

قال محمد بن الحسن بن ميمون: كتبت إليه - الإمام العسكري - أشكو الفقر، ثم قلت في نفسي أليس قد قال الصادق عليه السلام: «الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا».

١. الإرشاد: ٣٥١؛ إعلام الوري: ٤٤٥.

٢. إعلام الوري: ٤٤٨.

٣. المصدر نفسه.

فجاء الجواب من الإمام: «إن الله عز وجل يخص أوليائنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير منهم، وهو كما حدثتك نفسك الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا، ونحن كهف من التجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا مال إلى النار»<sup>(١)</sup>.

والنموذج الآخر لهذا الأمر هي رسالة كتبها الإمام العسكري عليه السلام إلى علي ابن الحسين بن بابويه القمي أحد كبار فقهاء الشيعة في هذه الرسالة وبعد إيراد الوصايا الضرورية يؤكد فيها: «عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشره النبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله بركاته»<sup>(٢)</sup>.

## ٦. الاستفادة من علم الغيب على نطاق واسع

نحن نعلم أنّ الأئمة عليهم السلام وفي ضوء اتّصالهم برّب العالمين يتمتّعون بالمعرفة الغيبية، وكلّما تعرّض الإسلام أو المصالح العليا للأمة الإسلامية - كشرعية إمامتهم

١. مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٥؛ كشف الغمة: ٣/ ٢١١.

٢. مناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٢٥؛ الأنوار البهية: ١٦١؛ تمة المنتهى: ٢٩٩، باختلاف يسير.

ونظراً إلى أنّ استشهاد الإمام العسكري كان عام ٢٦٠ ووفاة علي بن الحسين بابويه كانت ٣٢٩ أي بعد ٦٩ عاماً من استشهاد الإمام، استبعد البعض صدور هذه الرسالة بهذا الأسلوب من الإمام إليه وهو لم يزل شاباً في العشرينات، إلّا إذا قلنا كان وهو في مقتبل العمر شيخاً جليلاً له المرتبة الفضلى التي تؤهله لأن يخاطبه الإمام بهذا الأسلوب ويلقبه بهذا اللقب (يا شيخي). (تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر: ١٩٦).

- للخطر استخدموا هذه المعرفة كوسيلة إرشادية.

وتشكل أخبارهم وتنبؤاتهم الغيبية قسماً مهماً من سيرتهم، ولكن عندما ندرس حياة الإمام العسكري نجد أنه عليه السلام أكثر الأئمة إظهاراً لمعرفته الغيبية، ووفقاً لما قد توصل إليه أحد العلماء المعاصرين أنّ العلماء قد سجلوا تنبؤات الإمام العسكري وكراماته وأعماله الغير عادية في كتبهم بالنحو التالي: القطب الراوندي أربعون مرة في كتاب «الخرائج»، والسيد البحراني مائة وأربع وثلاثين مرة في كتاب «مدينة المعاجز»، والشيخ الحر العاملي في «إثبات الهداة» مائة وثلاث وثلاثين مرة، والمجلسي في «البحار» واحد وثمانين مرة.<sup>(١)</sup>

وهذا دليل على كثرة تنبؤات الإمام الغيبية.

ويبدو أنّ السبب في ذلك هو الظروف العصيبة والأجواء المفعمة بالاضطهاد التي عاشها الإمامان العسكري وأبوه الهادي عليه السلام، لأنّه عندما انتقل الإمام الهادي كرهاً إلى سامراء - كما قلنا مسبقاً - كان يخضع لمراقبة شديدة، ولهذا لم تتوفر فرصة تعريف وتقديم ابنه الحسن كإمام تالٍ له إلى الشيعة، وكان هذا الأمر يعرض حياته للخطر من قبل الحكم العباسي. ولأجل ذلك تم تعريف الإمام العسكري إلى الشيعة وإشهادهم على إمامته في الشهور الأخيرة من حياة الإمام الهادي عليه السلام<sup>(٢)</sup> لدرجة أنّه عندما رحل الإمام الهادي لم يكن لكثير من الشيعة علم بإمامة الحسن العسكري عليه السلام.<sup>(٣)</sup>

ويمكن أن يكون هناك سبب آخر لهذا الموضوع لا يمكن إنكار تأثيره وهو اعتقاد جماعة من الشيعة بإمامة محمد بن علي أخي الإمام العسكري في عهد أبيهما

١. حياة الإمام العسكري، الشيخ الطبري: ١٢١.

٢. نفس المصدر السابق: ٢١٧.

٣. إثبات الوصية: ٢٣٤.

الهادي عليه السلام، وطبقاً لمعتقدهم هذا كانوا يحترمونه بحضور الإمام الهادي غير أنه كان يواجه هذه العقيدة ويرفضها ويدعوهم لإمامة ابنه الحسن.

وقد اتخذ بعض الخونة والجهلة كابن ماهويه هذه العقيدة ذريعة وراح يضلّل أفكار الناس ويبيدهم بعد استشهاد الإمام الهادي عن إمامة الإمام العسكري.

اجتمعت هذه الأسباب وبعثت على إثارة الشك بين جماعة من الشيعة حول إمامته في البداية، كما أنّ بعضهم حاول أن يختبر الإمام<sup>(١)</sup> وكاتب بعضهم الآخر الإمام وراسله حول ذلك.<sup>(٢)</sup>

بلغ الشك والترديد في هذا الأمر حدّاً جعل الإمام عليه السلام يكتب في جواب جماعة من الشيعة والألم يعصر قلبه:

«ما مني أحد من آبائي بمثل ما مُنيتُ به من شك هذه العصابة في».<sup>(٣)</sup>

كان الإمام العسكري ولإجلاء صدأ هذه الشكوك والشبهات أو لصيانة أصحابه من الخطر أحياناً أو لرفع معنوياتهم أو لهداية الضالين، يضطر إلى أن يرفع الستار والحجب عما وراء هذا العالم الظاهري ويخبرهم بما يلهم به من هناك، وهذا الأسلوب من أكثر الأساليب تأثيراً في استقطاب المعاندين والمخالفين وتقوية إيمان الشيعة.

يقول أبو هاشم الجعفري الذي قلنا مسبقاً أنه من أقرب أصحاب الإمام عليه السلام:

ما دخلت على أبي محمد العسكري يوماً قط إلّا رأيت منه دلالة وبرهاناً<sup>(٤)</sup>.

١. نفس المصدر: ٢٤٦.

٢. المصدر نفسه: ٢٣٨.

٣. تحف العقول: ٤٨٧.

٤. إعلام الوري: ٣٧٥.

والآن وقد اتضحت دوافع الإمام في هذا الموضوع سندكر بعض الأمثلة من تنبؤاته.

١. قال محمد بن علي السمرى وقد كان من أقرب أصحاب الإمام وأحبهم إليه:

كتب إليّ أبو محمد العسكري: «فتنة تظلكم فكونوا على أهبة». فلما كان بعد ثلاثة أيام وقع نزاع بين بني هاشم و كانت لهم هنة لها شأن، فكتبت إليه أهى هذه؟

قال عليه السلام: «لا ولكن غير هذه فاحترسوا» فلما كان بعد أيام قتل المعتز.<sup>(١)</sup>  
٢. كتب الإمام إلى إسحاق بن جعفر الزبيرى قبل عشرين يوماً تقريباً من موت المعتز:

«الزم بيتك حتى يحدث الحادث» فلما قتل بريجة كتبت إليه قد حدث الحادث فما تأمرنى؟

فكتب عليه السلام إليه: «ليس هذا الحادث الحادث الآخر» لم يدم طويلاً حتى قتل المعتز.<sup>(٢)</sup>

٣. قال محمد بن حمزة السروى: كتبت على يد أبى هاشم الجعفرى وكان لى مؤاخياً لأبى محمد العسكري أسأله أن يدعو الله لى بالغنى وكنت قد أملت وخفت الفضيحة.

فخرج الجواب على يده: «أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى، مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك، وهى واردة عليك عن قريب». <sup>(٣)</sup>

١. كشف الغمة: ٣/ ٢٠٧؛ بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٩٨.

٢. الإرشاد: ٣٤٠؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٦؛ البحار: ٥٠/ ٢٧٧؛ أصول الكافي: ١/ ٥٠٦.

٣. كشف الغمة: ٣/ ٢١٤؛ نور الأبصار: ١٦٨؛ الفصول المهمة، ابن صباغ المالكي: ٣٠٣.

٤. قال أبو هاشم الجعفري: شكوت إلى أبي محمد العسكري ضيق الحبس وشدة القيد (مساوئه) فكتب إليّ: «تصليّ اليوم الظهر في منزلك». فأخرجت وقت الظهر، فصليت في منزلي.<sup>(١)</sup>

٥. قال أحمد بن محمد: كتبت إلى أبي محمد حين أخذ المهدي في قتل الموالي:

يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنّه يتهددك ويقول والله لأجلينهم عن جديد الأرض يخلصها.

فوقع الإمام بخطه: «ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به». فكان كما قال عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

٦. قال جعفر بن محمد القلانسي: كتب محمد أخي إلى أبي محمد العسكري - و امرأته حامل مقرب - أن يدعو الله أن يخلصها ويرزقه ذكراً ويسمّيه؟

فكتب عليه السلام: «رزقك الله ذكراً سوياً، ونعم الاسم محمد وعبد الرحمان» فولدت اثنين، فسّمى أحدهما محمداً والآخر عبد الرحمان.<sup>(٣)</sup>

٧. قال محمد بن عياش: تذاكرنا آيات الإمام، فقال ناصبي: إن أجاب بلا مداد علمت أنّه حقّ، فكتبنا مسائل وكتب الرجل بلا مداد على ورق وجعل في الكتب، وبعثنا إليه، فأجاب عن مسائلنا وكتب على ورقه اسمه واسم أبويه، فدهش الرجل، فلما أفاق اعتقد الحق.<sup>(٤)</sup>

١. إعلام الوري: ٣٧٢؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٣٢؛ إثبات الوصية: ٢٤١.

٢. إعلام الوري: ٣٧٥؛ إثبات الوصية: ٢٤٢؛ أصول الكافي: ١/ ٥١٠؛ الإرشاد: ٣٤٤؛ كشف الغمة: ٣/ ٢٠٤.

٣. إثبات الوصية: ٢٤١.

٤. مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ٤٤٠.

٨. قال إسماعيل بن محمد: شكوت إلى الإمام العسكري الحاجة، وحلفت أنه ليس عندي درهم فما فوقه.

فقال عليه السلام: «أتحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار، وليس قولي لك هذا دفعاً عن العطية، اعطه يا غلام ما معك». فأعطاني مائة دينار ثم أقبل عليّ فقال عليه السلام: إنك تحرم الدنانير التي دفنتها في أحوج ما تكون إليها».

فذهبت إليها فافتقدتها، فإذا هي في مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها من حيث لا يطلع أحد، ثم قعدت مدة طويلة، فاضطرت إليها فجئت إليها أطلبها في مكانها فلم أجدها، فجننت وشق ذلك علي، فوجدت ابناً لي قد عرف مكانها وأخذها ولم يحصل لي شيء، فكان كما قال عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٩. قال رجل يدعى بالحلبى: اجتمعنا بالعسكر - سامراء - وترصدنا للإمام العسكري يوم ركوبه، فخرج توقيعه: «لا يسلمن علي أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ، فأنكم لا تؤمنون على أنفسكم».

وكان إلى جانبي شاب فقلت: من أين أنت؟ قال: من المدينة، قلت: ما تصنع هاهنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي محمد عليه السلام فجئت لأراه وأسمع منه أو أرى منه دلالة ليسكن قلبي وآتي لولد أبي ذر الغفاري<sup>(٢)</sup>.

فبينما نحن كذلك إذ خرج الإمام العسكري مع خادم له، فلما حاذانا نظر إلى الشاب الذي بجانبى فقال عليه السلام: «أغفاري أنت؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «ما فعلت أمك حمدوية؟ فقال: صالحة ومرة، فقلت للشاب: أكنت رأيته قط وعرفته بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا، قلت: فينفعك هذا؟ قال: ودون هذا<sup>(٣)</sup>.

١. الفصول المهمة: ٣٠٣؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٤٣٢؛ نور الأبصار، الشبلنجي: ١٦٧، باختلاف

يسير.

٢. غفار اسم قبيلة أبي ذر.

٣. البحار: ٥٠/٢٦٩.

١٠. قال جعفر بن محمد: كنت قاعداً بالعشي فمرّ الإمام العسكري بي وهو راكب، وكنت اشتهي الولد شهوة شديدة، فقلت في نفسي ترى هل أرزق ولداً؟

فقال عليه السلام برأسه: أي نعم، فقلت: ذكراً؟ فقال عليه السلام برأسه لا، فولدت لي ابنة.<sup>(١)</sup>

١١. قال علي بن محمد بن زياد: خرج إليّ توقيع أبي محمد عليه السلام: «فتنة تخصك، فكن حلساً من أحلاس بيتك» فتابتني نائبة فزعت منها، فكتبت إليه: أهى هذه؟

فكتب عليه السلام: «لا، أشد من هذه» فطلبت بسبب جعفر بن محمود، ونودي من أصابني فله مائة ألف درهم.<sup>(٢)</sup>

## ٧. إعداد الشيعة لعصر الغيبة

ولأجل أنّ غيبة إمام قوم وقائد أي شعب تعد أمراً غير طبيعي وغير مألوف ويصعب على الناس تصديقها واحتمال المشاكل الناجمة منها، أخذ نبي الإسلام ﷺ والأئمة السابقون عليه السلام يعرفون الناس بالتدريج على هذا الأمر وهيتأوا الأذهان لقبوله، وتبدو هذه المحاولات ملموسة أكثر في عهد الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام، وهو عهد قريب من عصر الغيبة.

فكما لاحظنا في سيرة الإمام الهادي عليه السلام أنّه كان يقوم بأعماله من خلال وكلائه وقلما كان يتصل بالآخرين شخصياً.

١. حياة الإمام العسكري عليه السلام، الشيخ الطوسي: ١٣٦، نقلاً عن كتاب الهداية الكبرى تأليف حسين ابن حمدان الحضيبي: ٣٨٦.

٢. كشف الغمة: ٣/٢٠٧؛ بحار الأنوار: ٥٠/٢٩٧.

وبدا هذا الأمر ملموساً ومشهوداً أكثر في عهد الإمام العسكري، لأنه ورغم تأكيدده على ولادة المهدي ؑ كان يسمح فقط لشيعة المقرّبين جداً برؤيته.

ومن ناحية أخرى أصبح الاتّصال به نفسه ؑ محدوداً أكثر يوماً بعد يوم، لدرجة أنّه ؑ كان يجيب على الأسئلة التي ترد عليه من نفس مدينته سامراء وشيعتها من خلال الرسائل أو الوكلاء.

وبذلك يكون قد عوّدهم على تحمّل الظروف والأوضاع الجديدة وتكاليف عصر الغيبة وطبيعته، وعلى قبول الاتصال الغير مباشر بالإمام، وكما سنلاحظه فإنّ هذا الأسلوب هو نفس ذلك الأسلوب الذي اتبعه الإمام الثاني عشر في عصر الغيبة الصغرى بعد ذلك، وأعدّ الشيعة بالتدريج لعصر الغيبة الكبرى.

قد أشرنا بأنّه كان بعض الشيعة المقرّبين يتوقّف في اللقاء بالإمام المهدي، وهنا سنشير على سبيل المثال إلى واحد من تلك اللقاءات.

التنبؤ بغيبة المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -

قال أحمد بن إسحاق أحد خواص الإمام العسكري وأصحابه المقرّبين الكبار: دخلت على أبي محمد العسكري ؑ وأنا أريد أن أسأله عن الخلف بعده فقال لي مبتدئاً:

يا أحمد بن إسحاق إنّ الله لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله على خلقه، به يدفع البلاء من أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض».

فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض ؑ مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه

القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، فقال عليه السلام: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، أنه سمي رسول الله ﷺ وكنيته، والذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبتته الله على القول بإمامته ووقفه فيها للدعاء بتعجيل فرجه. <sup>(١)</sup>

### سطوع شمس الحقيقة

ورغم حقد رجال البلاط العباسي وعدائهم للإمام العسكري كانت عظمته الروحية والمعنوية وكمالاته وفضائله تجذبهم وتسيطر عليهم أحياناً، فيتواضعون أمامها، ويمطرونه بالمدح والثناء.

كان عبيد الله بن الخاقان من رجال بلاط الحكم العباسي المهمين، وكان ابنه أحمد يتولى الخراج والضيايع بقم وكان ناصبياً.

وقد روى الحسن بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما أنه جرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم، فقال:

ما رأيت ولا عرفت بسامراء رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي العسكري في هديه وسكونه ونبله وعفافه وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس، فاذا كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل حجابيه، فقالوا:

أبو محمد بن الرضا ؑ<sup>(١)</sup> بالباب، فقال بصوت عالٍ: إئذنوا له؛ فتعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكتنوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يكتنئ عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكتنئ<sup>(٢)</sup>؛ فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حديث السن، له جلاله وهيبه حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطأ ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده، وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجب مما أرى منه!! إذ دخل الحاجب فقال: الموفق - أخو الخليفة - قد جاء، وكان الموفق إذا دخل على أبي تقدمه حجابته وخاصة قواده فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد ؑ يتحدث حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذٍ له ؑ: «إذا شئت جعلني الله فداك ذهبت».

ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا - يعني: الموفق - فقام وقام أبي يعانقه ومضى.

فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويحكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟!

---

١. كان يطلق في تلك الفترة وفي البلاط العباسي لقب ابن الرضا على أبنائه من الأئمة كالإمام الجواد والهادي والعسكري ؑ تقديراً لانتسابهم إلى الإمام الرضا ؑ.

٢. الشائع بين العرب هو أنهم إذا أرادوا مخاطبة شخص باحترام كنوه.

فقالوا هذا: علوي يقال له الحسن بن علي، ويعرف بابن الرضا فازددت تعجباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيته منه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس جئت وجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد ألك حاجة؟

فقلت: نعم يا أبة، فإن أذنت سألتك عنها .

فقال: قد أذنت .

قلت: يا أبة من الرجل الذي رأيته بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة<sup>(١)</sup> الحسن بن علي المعروف بابن الرضا، ثم سكت ساعة وأنا ساكت، ثم قال: يا بني لو زالت الإمامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وصيانيته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً.

فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعته منه فيه، وما رأيت من فعله به، فلم تكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته

١ . أعداء الشيعة يسمونهم رافضة طعنوا فيهم.

ومشايخه، فعظم قدره عندي، إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.<sup>(١)</sup>

### استشهاد الإمام والمؤامرات الفاشلة

ولما لاحظ المعتمد العباسي الذي كان قلقاً من شعبية الإمام ومحبيته ونفوذه الروحي في المجتمع أنّ اهتمام الناس وانجذابهم بدأ يزداد نحوه ﷺ يوماً بعد يوم، وأنّ للاعتقال والاضطهاد مردوداً عكسياً، لجأ إلى الطريقة القذرة التقليدية وسمّ الإمام سراً.

وكتب عالم الشيعة الشهير الطبرسي: وذهب كثير من أصحابنا إلى أنّه ﷺ مضى مسموماً، وكذلك أبوه وجده وجميع الأئمة ﷺ.<sup>(٢)</sup>

وقال الكفعمي عالم الشيعة المعروف: إنّ المعتمد هو الذي سمّه.<sup>(٣)</sup> ويعتقد محمد بن جرير بن رستم الطبري العالم الشيعي في القرن الرابع بأنّ الإمام العسكري ﷺ استشهد مسموماً.<sup>(٤)</sup>

ومّا يدلّ على استشهاد الإمام على يد البلاط العباسي هي التصرفات والأعمال التي قام بها المعتمد وجهوده في إظهار أنّ موته كان بشكل طبيعي.

كتب ابن الصباغ المالكي أحد علماء أهل السنّة نقلاً عن عبيد الله بن الخاقان أحد رجال البلاط العباسي والذي ذكرنا مدى إجلاله للإمام:

لقد ورد على الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل في وقت وفاة الإمام العسكري

١. الإرشاد، ص ٣٣٨؛ روضة الواعظين، ص ٢٧٣-٢٧٥؛ اعلام الوري: ٣٧٦-٣٧٧؛ أصول

الكافي: ١/٥٠٣؛ كشف الغمة: ٣/١٩٧؛ پيشواي يازدهم امام حسن ﷺ: ١٣-١٧.

٢. اعلام الوري: ٣٦٧. ٣. الأنوار البهية: ١٦٢.

٤. دلائل الإمامة: ٢٢٣.

ما تعجبنا منه، ولا ظننا أنّ مثله يكون من مثله، وذلك أنّه لما اعتل أبو محمد عليه السلام ركب خمسة من دار الخليفة من خدام أمير المؤمنين وثقاته وخاصته كلّ منهم نحير فقه وأمرهم بلزوم دار الإمام وتعرّف خبره ومشاركهم له بحاله وجميع ما يحدث له في مرضه؛ وبعث إليه من خدام المتطبيين وأمرهم بالاختلاف وتعهدده صباحاً ومساءً، فلمّا كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثاً أخبروا الخليفة بأنّ قوته قد سقطت وحركته قد ضعفت وبعيد أن يجيء منه شيء، فأمر المتطبيين بملازمته وبعث الخليفة إلى القاضي بن بختيار عشرة ممن يثق بهم بدينهم وأمانتهم يأمرهم إلى دار الإمام وبملازمته ليلاً ونهاراً فلم يزلوا هناك إلى أن توفي بعد أيام قلائل.

ولما رفع خبر وفاته ارتجت سامراء وقامت ضجّة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت أبواب الدكاكين، وركب بنو هاشم والكتاب والقواد والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى أن حضروا إلى جنازته، فكانت سامراء في ذلك شبهاً بالقيامة، فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى عيسى بن المتوكل أخيه بالصلاة عليه.

فلما وضعت الجنازة للصلاة دعا عيسى منه وكشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية وعلى القضاة والكتاب والمعدلين فقال: هذا أبو محمد العسكري مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدام الخليفة فلان وفلان؛ ثم غطى وجهه، وصلى عليه، وأمر بدفنه.<sup>(١)</sup>

١. الفصول المهمة: ٣٠٧-٣٠٨، وقد روى هذه الرواية المرحوم الشيخ المفيد في الإرشاد والفتال النيشابوري في روضة الواعظين والطبرسي في إعلام الوري وعلي بن عيسى الإرزبلي في كشف الغمة نقلاً عن أحمد بن عبيد الله بن الخاقان، وتبيّن هذه الرواية ماهية قاعدة الإمام الشعبية واتساعها وتوضح سبب قلق الحكم العباسي، وتبيّن أيضاً مدى خوف الخليفة من انكشاف أمر قتله للإمام بالسم، ولذلك وبإعداد مسبق حاول أن يتظاهر بأن موت الإمام كان طبيعياً.

ومن المؤكد أنّ هذه الصلاة كانت تشريفية وشكلية وكانت ضمن المخطط الذي مارسه الجهاز الحاكم للتغطية على استشهاد الإمام. وكما هو مشهور لدى علماء الشيعة أنّ الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - صلى على أبيه الكريم بشكل خاص.<sup>(١)</sup>

### محاولات جعفر الكذاب الفاشلة

قال أبو الأديان: كنت أخدم الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها، فكتب معي كتاباً، وقال: «امض بها إلى المدائن، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى سامراء يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية - الصراخ - في داري وتجدي على المغتسل».

فقلت: يا سيدي فإذا ذلك فمن؟

قال: «من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي». فقلت: زدني.

قال عليه السلام: «من يصلي عليّ فهو القائم من بعدي».

فقلت: زدني.

قال عليه السلام: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي». ثمّ منعتني هيئته أن أسأله عما في الهميان، وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها، ودخلت سامراء يوم الخامس عشر - من سفري - كما ذكر عليه السلام لي، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر (الكذاب) أخيه بباب الدار والشيعة حوله يعزّونه ويهتّون به، فقلت في نفسي: إن يكن هذا إماماً، فقد بطلت الإمامة، لأنّي

كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الحوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزيت وهنأت بالإمامة فلم يسألني عن شيء.

ثم خرج عقيد وقال لجعفر: يا سيدي قد كفّن أخوك، فقم وصلّ عليه؛ فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان<sup>(١)</sup> والحسن بن علي المعروف بسلمة.

فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن العسكري على نعشه مكفناً فتقدم جعفر بن علي ليصلي على الإمام، فلما همّ بالتكبير، خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، ف جذب برداء جعفر، وقال: «تأخرياً عم فأنا أحقّ بالصلاة على أبي».

فتأخر جعفر، وقد اربد وجهه واصفرّ فتقدم الصبي، وصلى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام.

ثم قال الصبي: «يا بصري هات جوابات الكتب التي معك».

فدفعها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيتان، بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له الحاجز الوشاء: يا سيدي من هذا الصبي؟ ليقم الحجة عليه فقال جعفر: والله ما رأيته قط ولا أعرفه، فنحن جلوس، إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن العسكري عليه السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟

فأشار الناس إلى جعفر، فسلموا عليه وعزّوه وهنّؤوه وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً فتقول ممن الكتب وكم المال؟

فقام ينفض أثوابه، ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟

١. ويقصد عثمان بن سعيد العمري أحد أصحاب الإمام العسكري المقربين الذي سمّي بالسمان لاشتغاله به.

فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان و... وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية.

فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام.<sup>(١)</sup>

### جهود غير مثمرة

إنَّ المعتمد الذي كان يعتقد - لسذاجته - أنَّه وصل إلى مبتغاه وحقق أهدافه باستشهاد الإمام أنَّه لا يوجد هناك خطر يهدد حكمه المستبد، ولكنَّه ولأجل أن يرتاح باله قام بأعمال أخرى تبين مدى تعطُّشه للسلطة ومدى قلقه من ابن الإمام العسكري عليه السلام، فقد أمر جلاوزته بأن يداهموا بيته ويفتشوا أثاثه بشكل تام، وختم على جميع ما فيها؛ ومن ناحية أخرى كان قد سمع بأنَّ للإمام ولداً فأمر بطلب أثر ولده عليه السلام، وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه عليهن السلام ينظرن إليهن، فذكرت بعضهن أنَّ هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة ووكل بها تحرير الخادم - أحد خدام الخليفة ومن البلاط - وأصحابه ونسوة معهم ليعرفوا حقيقة الأمر<sup>(٢)</sup>، ولم يزل الذين وُكلوا بحفظ الجارية لازمين لستين حتى تبين بطلان ما توهم عليها من الحمل.<sup>(٣)</sup>

ولكي يتظاهر بأن ليس للإمام ولد ويأس الشيعة ويفقدون الأمل في الإمام التالي، قسَّم المعتمد ميراثه عليه السلام بين أمِّه وأخيه جعفر.<sup>(٤)</sup> غير أنَّ الشيعة كانوا

١. إكمال الدين، الشيخ الصدوق، ص ٤٧٥.

٢ و٣. أصول الكافي: ١/ ٥٠٥؛ البحار: ٥٠/ ٣٢٩.

٤. أصول الكافي: ١/ ٥٠٥؛ البحار: ٥٠/ ٣٢٩.

يعتقدون بأنّ له عليه السلام ولداً هو الإمام التالي<sup>(١)</sup>، لأنّ منهم من شاهد الإمام وهو صغير مسبقاً كما تقدّم.

وعلى أيّة حال ظلت التحريات والمضايقات والتفتيش والضغط مستمرة كلّ ذلك لأجل العثور على الإمام الثاني عشر، فدامت إلى أن ثار يعقوب بن ليث الصفاري في خراسان، ومات عبيد الله بن الخاقان فجأة، وثار أيضاً صاحب الزنج في البصرة، حينئذٍ راح الحكم العباسي يركّز جميع جهوده على مواجهة هذه الثورات، فلم تسنح الفرصة للتضييق على أهل البيت والتعرّض لهم.<sup>(٢)</sup>

١. كشف الغمة، الاربلي: ٣/ ١٩٩؛ روضة الواعظين الفتال النيشابوري، ص ٢٧٦.

٢. البحار: ٥٠/ ٣٣١؛ دلائل الإمامة: ٢٢٤؛ إكمال الدين: ٤٧٥.

وقد أفدت مضافاً إلى المصادر المذكورة آنفاً من المصادر التالية مع الشكر لمؤلفيها: پیشوای یازدهم حضرت امام حسن عسکری ، مؤسسه در راه حق ؛ دورنمایی از زندگانی پیشوایان اسلام، تألیف الأستاذ جعفر السبحاني ؛ خاندان وحی ، تألیف السيد علي أكبر القرشي .



## الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -

\* الأسباب السياسية والاجتماعية للغيبة

\* النواب الخواص

\* المهدي في المصادر الشيعية

\* المهدي في المصادر السنية

\* ماهية دولة المهدي في القرآن

\* فوائد وجود الإمام في عصر الغيبة



## نبذة مختصرة عن حياة الإمام عليه السلام

ولد الإمام الثاني عشر وهو الإمام الحجة بن الحسن المهدي إمام الزمان - عجل الله تعالى فرجه الشريف - في النصف من شعبان عام ٢٥٥ هجرية في مدينة سامراء<sup>(١)</sup> وهو سمي نبي الإسلام (م ح م د) وكنيته (أبو القاسم)<sup>(٢)</sup> غير أن الأئمة المعصومين نهوا عن ذكر اسمه.<sup>(٣)</sup>

ومن ألقابه: الحجة، القائم، الخلف، الصالح، صاحب الزمان<sup>(٤)</sup>، وبقيّة الله<sup>(٥)</sup>، وأشهرها المهدي.<sup>(٦)</sup>

---

١. الإرشاد: ٣٤٦؛ روضة الواعظين: ٢٩٢؛ أصول الكافي: ١/ ٥١٤؛ الغيبة، الطوسي: ١٤١؛ اعلام الوري: ٤١٨؛ الفصول المهمة: ٣١٠؛ وذكرت بعض المصادر أن ولادته كانت في ٢٥٦؛ إكمال الدين: ٤٣٢؛ الغيبة، الطوسي: ١٣٩ - ١٤٧؛ وفي البعض الآخر تقول عام ٢٥٨؛ كشف الغمة: ٣/ ٢٢٧؛ تاريخ الأئمة، ابن أبي الثلج البغدادي؛ ضمن مجموعة نفيسة، ص ١٥ ويعتقد أبو جعفر الطبري في دلائل الإمامة: ٢٧١ - ٢٧٢ أن ولادته كانت في عام ٢٥٧.

٢. الإرشاد: ٣٤٦؛ اعلام الوري: ٤١٧؛ كشف الغمة: ٣/ ٢٢٧؛ الفصول المهمة: ٣١٠.

٣. إكمال الدين: ٦٤٨؛ أصول الكافي: ١/ ٣٣٢؛ البحار: ٥١ / ٣١ - ٣٤، ولكن هل كان نهي الأئمة عن ذكر اسمه الخاص موقفاً سياسياً مؤقتاً يتعلّق بعصر الغيبة الصغرى، أو ان حرمة ذكره مستمرة إلى لحظة ظهوره وقيامه؟ هناك خلاف بين علماء الشيعة؛ النجم الثاقب، ميرزا حسين الطبرسي النوري، ٤٨ - ٤٩، الباب ٢.

٤. اعلام الوري: ٤١٨؛ الفصول المهمة: ٣١٠. ٥. إثبات الوصية: ٢٤٨.

٦. الفصول المهمة: ٣١٠.

أبوه هو الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام، وأمّه هي المرأة الفاضلة نرجس<sup>(١)</sup> التي تذكر باسم ربحانة وسوسن وصقيل أيضاً<sup>(٢)</sup>، وقد بلغ فضلها ومكانتها حداً جعل حكيمة أخت الإمام الهادي التي هي من نساء أهل البيت الكبريات والقديرات ان تعتبرها سيدة أهل بيتها و ان تعد نفسها خادمة لها<sup>(٣)</sup>.

كان للإمام المهدي عليه السلام غيبتان: إحداهما قصيرة - الغيبة الصغرى - والأخرى طويلة - الغيبة الكبرى - كانت الأولى من ولادته حتى نهاية فترة النيابة الخاصة، والثانية بدأت بانتهاء الأولى وتستمر حتى ظهوره - عجل الله تعالى فرجه الشريف -<sup>(٤)</sup>.

### ولادة المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - في رأي علماء أهل السنة

إنّ الإيمان بالمهدوية - و كما سنوضحه في الصفحات التالية - لا يختص بالشيعة بل علماء أهل السنة وطبقاً لروايات كثيرة رويت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يؤمنون بذلك أيضاً، غير أنّهم ينكرون ولادته ويقولون: إنّ من أخبر عنه النبي لم

١. الإرشاد: ٣٤٦؛ إكمال الدين: ٤٣٢؛ إعلام الوري: ٤١٨؛ إثبات الوصية: ٢٤٨؛ روضة الواعظين: ٢٨٣؛ الغيبة: ١٤٣؛ دلائل الإمامة: ٢٦٨؛ الفصول المهمة: ٣١٠.

٢. إكمال الدين: ٤٣٢؛ روضة الواعظين: ٢٩٢، واحتمل بعض الباحثين المعاصرين أنّ اسمها نرجس، وقد أعطتها السيدة حكيمة بقية الأسماء ما عدا صقيل - و وفقاً لبعض الروايات أنّها كانت جارية من جواربها - وكان الناس في تلك الفترة يطلقون على جواربهم أسماء مختلفة ترحيباً بهم، فإنّ نرجس و ربحانة وسوسن كلّها أسماء للزهور؛ تاريخ سياسي غيبت امام دوازدهم، حسين جاسم: ١١٤.

٣. روضة الواعظين: ٢٨٣؛ إكمال الدين: ٤٢٧؛ البحار: ١٢ / ٥١.

٤. الإرشاد: ٣٤٦.

يولد بعد، وإنّما سيولد في المستقبل.<sup>(١)</sup>

ومع ذلك فقد ذكر عدد ملفت للنظر من المؤرّخين والمحدثين السنّة ولادته في كتبهم واعتبروها أمراً واقعاً، وقال بعض الباحثين: إنّ عدد من قال بذلك من علمائهم بلغ أكثر من مائة مؤرّخ ومحدّث.<sup>(٢)</sup>

### لقاء الإمام المهدي ﷺ

وكما كتبنا في سيرة الإمام الحسن العسكري ﷺ بالتفصيل، فإنّ الحكم العباسي الجائر كان - و بدافع العثور على ابنه وقتله ﷺ - يضع بيته تحت المراقبة الشديدة، غير أنّ الإمام العسكري ﷺ ووفقاً لخطة دقيقة كان قد أعدّها مسبقاً قد أخفى ولادة الإمام المهدي عن عيون الناس حتى الشيعة.

إنّ أوثق رواية حول هذا الموضوع هو ما روته السيدة حكيمة عمة الإمام العسكري التي شاهدت ولادة الإمام وحضرتها، ولكن يجب الالتفات إلى أنّ هذا التستر لا يعني أنّه لم ير الإمام أحد بعد ولادته عندما كان في الخامسة أو السادسة من عمره، وكان أبوه ﷺ على قيد الحياة، بل كان هناك - كما ذكرنا ذلك في سيرة الإمام العسكري - أشخاص معيّنون من الشيعة يلتقون به في الفرص المناسبة حتى

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٩٤؛ ١٠/ ٩٦.

٢. مهدي منتظر در نهج البلاغة، مهدي فقيه إيباني: ٢٣- ٣٩.

وإليك بعض هذه المصادر التي في متناول يد الكاتب وهي تصرّح بولادة المهدي ﷺ:

الصواعق المحرقة، ص ٢٠٨؛ الاتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ١٧٩؛ سبائك الذهب، محمد البغدادي: ٧٨؛ نور الأبصار، الشبلنجي: ١٦٨؛ إسعاف الراغبين (في حاشية نور الأبصار)، الشيخ محمد الصبان: ١٤١؛ الكامل في التاريخ: ٧/ ٢٧٤ (حوادث سنة ٢٦٠هـ)؛ تاريخ كزيده، مستوفي: ٢٠٧؛ الأئمة الاثنى عشر، ابن طولون: ١١٧؛ الفصول المهمة: ٣١٠؛ ينابيع المودة: ٣/ ٣٦.

يستيقنوا بولادته ووجوده ويخبروا الشيعة عند الضرورة. وقد ذكر علماؤنا هذه اللقاءات على نطاق واسع.<sup>(١)</sup>

ولعل أهم هذه اللقاءات هو لقاء أربعين شخصاً من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام به وهو بالنحو التالي:

قال الحسن بن أيوب بن نوح<sup>(٢)</sup>: اجتمعنا إلى أبي محمد العسكري نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد العمري - أحد وكلاء إمام الزمان فيما بعد - فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني.

فقال عليه السلام له: «اجلس يا عثمان».

فقام مغضباً ليخرج فقال عليه السلام: «لا يخرجن أحد» فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان، فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟» قالوا: نعم يا بن رسول الله.

قال عليه السلام: «جئتم تسألوني عن الحجة بعدي؟».

قالوا: نعم. فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بالإمام العسكري.

فقال عليه السلام: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا...».<sup>(٣)</sup>

١. إكمال الدين: ٤٣٤-٤٧٨؛ الإرشاد: ٣٥٠-٣٥١؛ ينابيع المودة، سليمان القندوزي: ١٢٣/٣-١٢٥.

٢. وكما تقدّم في سيرة الإمام الهادي عليه السلام فإن أيوب بن نوح كان من وكلائه عليه السلام.

٣. الغيبة الطوسي: ٢٠٤؛ إكمال الدين: ٤٣٥؛ البحار: ٥١/٣٤٦؛ ينابيع المودة: ١٢٣/٣؛ منتخب الأثر، آية الله الشيخ لطف الله الصافي: ٣٥٥.

### الأسباب السياسية والاجتماعية للغيبة

ولا شكّ في أنّ قيادة القادة الإلهيين ترمي إلى إيصال الناس إلى غاية الكمال، وهذا أمر يتم لو كانوا على استعداد للإفادة من هذه الهداية الربّانية، فإذا لم يتوفر هذا النوع من الاستعداد بين الناس، فسوف لن يكون هناك جدوى من حضور القادة الإلهيين بينهم.

وقد بيّنت - وللأسف - الضغوط والمضايقات الكبيرة التي تلقاها الأئمة عليهم السلام وبشكل خاص منذ الإمام الجواد عليه السلام وما بعده - الأمر الذي حدد نشاطات الإمامين العاشر والحادي عشر - أنّ الأرضية غير ملائمة للتمتع بقيادة وإرشادات الأئمة الرشيدة وأنّها لم تصل إلى الحدّ المطلوب.

ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يختار الإمام الثاني عشر الغيبة إلى أن يحين ذلك الوقت الذي يكون المجتمع على استعداد تام لذلك، وهذا ما سنشير إليه تفصيلاً فيما بعد، ومن المؤكد أنّه لم تتضح لنا جميع أسباب الغيبة، غير أنّ النقطة التي قلنا إنّها السر الرئيسي للغيبة تتمحور في رواياتنا التي تتناول أسباب ودوافع الغيبة حول ثلاثة مواضيع :

### الف: اختبار الناس

وكما شاهدنا فإنّ من السنن الإلهية الثابتة هو اختبار العباد واختيار الصالحين والطاهرين منهم أنّ الحياة كانت وما تزال مسرحاً للاختبار لكي يستطيع العباد وفي ضوء إيمانهم وصبرهم وتسليمهم في طاعة الأوامر الإلهية أن يترّبوا ويبلغوا الكمال وتظهر مواهبهم الكامنة في وجودهم.

فالناس في غيبة الإمام المهدي يخضعون للاختبار، فالذين لم يتمتعوا برسوخ

في الإيمان ينكشف باطنهم ويكونون عرضة للشك والشبهات، والذين ضرب الإيمان بجذوره في أعماق قلوبهم يصبحون وبسبب انتظار ظهور ذلك الإمام القائد وصمودهم أمام الشدائد أكثر نضجاً وجدارة وينالون الدرجات العليا من الأجر والثواب الإلهيين.

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا فقد الخامس من أولادي فالله الله في أديانكم، لا يزيلنكم عنها أحد... أنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن الله تعالى بها خلقه»<sup>(١)</sup>.

ويتضح من كلام أئمة الإسلام أنّ امتحان الناس بغيبة المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - من أصعب الامتحانات الإلهية<sup>(٢)</sup> وأنّ هذه الصعوبة من جهتين:

١. من ناحية أصل الغيبة حيث يتلي الكثير من الناس بالشك والترديد بسبب طول المدة، فبعض يشك في نفس ولادته، والآخر يشك في طول عمره - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فلن يبقى أحد على إيمانه بإمامة ذلك الإمام الهام سوى المحنّكين الخالص الذين يحملون معرفة عميقة ودركاً عالياً، وقد قال نبي الإسلام صلى الله عليه وآله «ليغنن المهدي عن شيعة وأوليائه، ولیمحصن فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

٢. من ناحية الضغوط والظروف العصيبة والحوادث المؤلمة التي تحدث في عصر الغيبة وتغير الناس وتؤثر عليهم حتى يصبح حفظ الإيمان والصمود في البقاء على الدين والاستقامة فيها أمراً عسيراً، وتتعرض عقيدة الناس إلى

١. الغيبة الطوسي: ٢٠٤؛ الغيبة النعماني: ١٥٤؛ بحار الأنوار: ٥١/ ١٥٠؛ أصول الكافي: ١/ ٣٣٧.

٢. الغيبة، الطوسي: ٢٠٣-٢٠٧؛ منتخب الأثر: ٣١٤-٣١٥، الباب ٤٧.

٣. منتخب الأثر: ١٠١، ح ٤، الفصل ١، الباب ٨.

هزات عنيفة.<sup>(١)</sup>

### ب: حفظ الإمام

فقد حفظ الله الإمام الثاني عشر من القتل من خلال الغيبة، لأنه - عجل الله تعالى فرجه الشريف - لو كان قد ظهر من البداية بين الناس لكانوا يقتلونه كما سنشير إليه بالتفصيل.

وعليه إن ظهر قبل الموعد المقرر لكان عرضة للخطر أيضاً، وما كان لينجح في تحقيق أهدافه الإصلاحية العليا ومهمته الإلهية.

قال زرارة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «للإمام المنتظر غيبة قبل أن يقوم».

قلت: ولم؟

قال عليه السلام: «يخاف على نفسه».<sup>(٢)</sup>

### ج: التحرر من نير البيعة لطواغيت العصر

إن الإمام الثاني عشر لم يعترف بشرعية أي حكم ونظام ولن يعترف ولو تقية، فهو غير ملزم بالتقية تجاه أي حاكم أو سلطان، ولم يرضخ لدولة أي ظالم، ولن يخضع لها، لأنه - عجل الله تعالى فرجه الشريف - يفعل ما يمليه عليه واجبه الديني، ويطبق دين الله بشكل كامل وبدون خشية ولا خوف ولا تستر.

وعليه لن يكون للبيعة والعهد والميثاق لأحد مكانة لديه. قال الحسن بن

١. نويد أمن و أمان، الشيخ لطف الله الصافي ١٧٧-١٧٨.

٢. أصول الكافي: ١/ ٣٣٧؛ الغيبة، الطوسي ٢٠٢؛ كمال الدين: ٤٨١؛ منتخب الأثر: ٢٦٩؛ الغيبة،

النعماني: ١٦٦.

فضال: قال الإمام الرضا عليه السلام: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي - الإمام العسكري - يطلبون المرعى فلا يجدونه».

قلت: ولم؟

قال عليه السلام: «لأنّ إمامهم يغيب عنهم».

قلت: ولم؟

قال عليه السلام: «لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف».<sup>(١)</sup>

### الغيبة الصغرى والكبرى

تنقسم - كما أشرنا - غيبة الإمام المهدي إلى قسمين الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى.

امتدت الغيبة الصغرى من عام ٢٦٠هـ - سنة استشهاد الإمام الحادي عشر - حتى عام ٣٢٩هـ وهي السنة التي مات فيها آخر سفير للإمام فكانت ٦٩ عاماً تقريباً.<sup>(٢)</sup> ولم ينقطع اتصال الشيعة بالإمام كلية فيها بل كانوا يتصلون به - ولو على نطاق ضيق - و من قنوات خاصة.

وتوضيح ذلك هو أنّه كان هناك أفراد معيّنون - سنأتي على ذكرهم - يتصلون بصفته نواباً بالإمام، و كان بإمكان الشيعة أن يحملوا أسئلتهم ومشاكلهم إلى

١. كمال الدين: ٤٨٠؛ البحار: ١/١٥٢؛ منتخب الأثر: ٢٦٨.

٢. عدّ الشيخ المفيد بداية الغيبة الصغرى منذ عام ولادته عليه السلام سنة ٢٥٥؛ الإرشاد: ٣٤٦، وعليه تكون الغيبة ٧٤ عاماً، ولعلّ رأي المفيد بسبب أنّ الإمام لم يخالط ويعاشر الآخرين حتى في عهد أبيه فكان يعدّ عليه السلام غائباً كلية. ويحتمل أنّ ذلك هو الذي جعل علماء مثل الطبرسي والسيد الأمين والسيد صدر الدين الصدر أن يعتقدوا أنّ بداية الغيبة الصغرى كانت منذ الولادة وأنّ غيبته ٧٤ عاماً؛ إعلام الوري: ٤٤٤؛ أعيان الشيعة: ٢/٤٦؛ المهدي: ١٨١.

الإمام ويستلموا أجوبتها من خلال هؤلاء النواب، وقد كانوا يتشرفون بلقاء الإمام أحياناً، ويمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة تمهيد وإعداد للشيعَة لاستقبال الغيبة الكبرى التي ينقطع اتصال الشيعة فيها بإمامهم حتى على ذلك المستوى، فيكون عليهم مراجعة الذين ينوبون عن الإمام بالنيابة العامة في أمورهم ومشاكلهم، أعني: الفقهاء، الذين تتوفر فيهم شروط المرجعية، والذين هم على معرفة بالأحكام الإسلامية.

ولو كانت الغيبة الكبرى تحدث فجأة، لكان من الممكن أن تنحرف الأفكار وتتشتت وترفض قبول هذه الظاهرة، غير أنه وبالتمهيدات الحكيمة التي قام بها الأئمة السابقون عليه السلام تصبح فكرة الغيبة الكبرى خلال الغيبة الصغرى أكثر تقبلاً ونضجاً، وكذلك أنّ إمكانية اتصال السفراء والنواب بالإمام في الغيبة الصغرى وتشرف بعض الشيعة بلقائه عليه السلام فيها يقوى ويثبت كلّ ذلك فكرة ولادته وحياته عليه السلام. <sup>(١)</sup>

وبانتهاء مرحلة الغيبة الصغرى تبدأ غيبة الإمام الكبرى والطويلة الأمد التي دامت إلى هذه اللحظة وستدوم إلى أن يأذن الله تعالى بالظهور والخروج، وقد أخبر الأئمة عن غيبتيه - الصغرى والكبرى - قبل أن يولد بسنين عديدة، ومنذ تلك اللحظة حفظ الرواة ذلك ورووه في كتبهم الحديثية، نكتفي بالإشارة إلى بعض منها:

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لغائب منّا غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلّا من قوي يقينه وصحت معرفته». <sup>(٢)</sup>

١. المهدي، السيد صدر الدين الصدر: ١٨٣، پيشواي دوازدهم: ٣٨.

٢. ينابيع المودة، الشيخ القندوزي: ٨٢/٣، الباب ٧١.

٢. قال الإمام الباقر عليه السلام: «للقائم غيبتان، يقولون في إحداهما هلك...»<sup>(١)</sup>

٣. قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام قال الإمام الباقر عليه السلام: «للقائم آل محمد عليهم السلام غيبتان إحداهما أطول من الأخرى؟ فقال عليه السلام: «نعم هو ذاك»<sup>(٢)</sup>.

٤. قال الإمام الصادق عليه السلام: «للإمام القائم غيبتان، إحداهما قصيرة وأخرى طويلة»<sup>(٣)</sup>. فقد أيدت حركة التاريخ صحت هذه التنبؤات وتحققت الغيبتان للإمام كما قال الأئمة السابقون.

### السفراء الأربعة

وقد شغل مركز النيابة عن الإمام في فترة الغيبة الصغرى أربعة من علماء الشيعة الكبار وزهادهم ومن أصحاب الأئمة السابقين، والذين عرفوا بالسفراء والنواب الأربعة<sup>(٤)</sup>، وهم:

١. أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.
  ٢. أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري.
  ٣. أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي.
  ٤. أبو الحسن علي بن محمد السَّمري.
- ومن المؤكد أنه كان للإمام وكلاء آخرون في مناطق مختلفة مثل بغداد،

١ و٢. الغيبة، النعماني: ١٧٣.

٣. الغيبة، النعماني: ١٧٠؛ منتخب الأثر: ٢٥١-٢٥٣؛ الفصل: ٢، الباب: ٢٦.

٤. كان التعبير بالسفير والسفارة بدل النائب والنيابة هو الأكثر شيوعاً في تلك الفترة.

الكوفة، الأهواز، همدان، قم، الري، آذربايجان، نيشابور، وهم إمّا يتصلون بالإمام من خلال هؤلاء السفراء الأربعة وينقلون مشاكلهم ومساائلهم<sup>(١)</sup> إليه - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، وكانت التواقيع<sup>(٢)</sup> تصدر بحقهم من قبل الإمام<sup>(٣)</sup>.

أو - كما احتمله بعض الباحثين - أنّ سفارة هؤلاء الأربعة ووكالتهم كانت سفارة عامة، و كان للآخرين وكالة خاصة في جهات معينة<sup>(٤)</sup> كمحمد بن جعفر الأسدي، أحمد بن إسحاق الأشعري القمي، إبراهيم بن محمد الهمداني، أحمد بن حمزة بن اليسع<sup>(٥)</sup>، محمد بن إبراهيم بن مهزيار<sup>(٦)</sup>، الحاجز بن يزيد، محمد بن صالح<sup>(٧)</sup>، أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، محمد بن علي بن بلال، عمر الأهوازي، وأبو محمد الوجداني<sup>(٨)</sup>.

### الف: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري

كان عثمان بن سعيد من بني أسد، ولقب بالعسكري لإقامته في مدينة سامراء، ويعرف بالسّمّان في الأوساط الشيعية، لأنّه كان يمارس نشاطاته السياسية تحت غطاء الاتجار بالسمن، وكان يضع الأمانات والأموال المتعلقة بالإمام التي يجمعها من الشيعة في أواني السمن، فيسلّمها إلى الإمام<sup>(٩)</sup> وقد كان يحظى بثقة واحترام جميع الشيعة<sup>(١٠)</sup>.

١. وكما يروي الشيخ الطوسي كان هناك عشرة وكلاء لمحمد بن عثمان يقومون بنشاطاتهم في بغداد، الغيبة: ٢٢٥.

٢. التوقيع بمعنى التهميش والتحشية ويطلق عند علماء الشيعة على تلك الرسائل والأوامر الصادرة من الإمام المهدي إلى شيعته في الغيبة الصغرى.

٣. المهدي، صدر الدين الصدر: ١٨٩. ٤. أعيان الشيعة، السيد الأمين: ٤٨/٢.

٥. الغيبة، الطوسي: ٢٥٧-٢٥٨. ٦. أصول الكافي: ١/٥١٨، ح ٥.

٧. المصدر نفسه: ٥٢١، ح ١٤ و ١٥. ٨. إعلام الوري: ٤٤٤.

٩. الغيبة، الطوسي: ٢١٤. ١٠. المصدر نفسه: ٢١٦.

والجدير ذكره هو أنّ عثمان كان قبل ذلك من وكلاء وأصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام الموثوق بهم .

قال أحمد بن إسحاق - وهو من شخصيات الشيعة البارزة -: دخلت على الإمام الهادي في يوم من الأيام فقلت يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهياً لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت فقول من أقبل وأمر من نمثل؟ فقال عليه السلام : «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أذاه إليكم فعني يؤذيه» .

فلما مضى الإمام الهادي وصلت إلى أبي محمد العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه عليه السلام .

فقال عليه السلام لي: « هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤذيه» .<sup>(١)</sup>

ولما مات الإمام العسكري حضر غسله عثمان بن سعيد وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره في الظاهر.<sup>(٢)</sup>

وهو نفسه الذي استلم ذات يوم أموالاً من شيعة اليمن بأمر من الإمام العسكري فقال الإمام ردّاً على قولهم: يا سيدنا ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وإنّه وكيلك وثقتك على مال الله ولمن خيار شيعتك: «نعم واشهدوا عليّ أنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي وإنّ ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم» .<sup>(٣)</sup>

وهكذا في خاتمة لقائه عليه السلام بالأربعين شيعياً - وقد أشرنا إلى ذلك - قال عليه السلام

١. الغيبة، الطوسي: ٢١٥.

٢. المصدر نفسه: ٢١٦.

٣. المصدر نفسه: ٢١٦.

للحاضرين: «فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»<sup>(١)</sup>.

إن تاريخ وفاة عثمان مجهول واحتمل البعض أنه مات بين سني ٢٦٠-٢٦٧ هـ واعتقد بعض آخر بأنه مات عام ٢٨٠<sup>(٢)</sup>.

### ب: محمد بن عثمان بن سعيد العمري

إن محمد بن عثمان - كآبيه - يعد من كبار الشيعة وكان يحظى باحترام وتقدير الشيعة<sup>(٣)</sup>، وهم يثقون بتقواه وعدالته، وكان من أصحاب الإمام العسكري الموثوق بهم كما قال الإمام العسكري رداً على سؤال أحمد بن إسحاق، وهو: عمّن أخذ قول من أقبل؟: «العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فاتهما الثقتان المأمونان»<sup>(٤)</sup>.

وصدر بعد أن مات عثمان توقيع من الإمام الغائب يعلن فيه عزاءه لموته ونصب ابنه محمداً وكيلاً مكانه<sup>(٥)</sup>.

قال عبد الله بن جعفر الحميري: لما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد أتتنا الكتب بالخط الذي كنّا نكتب به بإقامة أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد مقامه<sup>(٦)</sup>.

١. المصدر نفسه: ٢١٧.

٢. دكتور جاسم حسين، تاريخ سياسي غيب امام دوازدهم: ١٥٥-١٥٦.

٣. الغيبة: ٢٢١.

٤. المصدر نفسه: ٢١٩.

٥. المصدر نفسه: ٢١٩-٢٢٠.

٦. المصدر نفسه: ٢٢٠؛ البحار: ٥١/٣٤٩.

وفي توقيع صادر من الإمام جواباً على أسئلة إسحاق بن يعقوب كتب عليه السلام:  
«وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه  
كتابي»<sup>(١)</sup>.

وقد كان لأبي جعفر تأليفات فقهية صارت بعد وفاته بيد الحسين بن روح  
ثالث سفراء الإمام أو بحوزة أبي الحسن السمرى السفير الرابع<sup>(٢)</sup>.

وتولّى محمد بن عثمان السفارة والوكالة عن إمام الزمان مدة ما يقارب  
الأربعين عاماً وأعدّ خلال هذه الفترة وكلاء محليين، وكان هو يشرف على  
نشاطاتهم ويدير أمور الشيعة ويهتم بها، وصدرت توقيعات عديدة من الإمام - عجل  
الله تعالى فرجه الشريف - فوصلت من خلاله إلى الآخرين وأخيراً قد توفّي في عام ٣٠٤  
أو ٣٠٥<sup>(٣)</sup>.

وقد أخبر عن يوم وفاته قبل أن يموت، فمات في نفس ذلك التاريخ الذي  
أخبر عنه<sup>(٤)</sup>.

### ج: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي

وفي الأيام الأخيرة من حياة أبي جعفر زاره جماعة من كبار الشيعة، فقال: إن  
حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد  
أمرت أن اجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه<sup>(٥)</sup>.

١. الغيبة، الطوسي: ٢٢٠؛ البحار: ٥١ / ٣٥٠؛ إعلام الوري: ٤٥٢؛ كشف الغمة: ٣ / ٣٢٢.

٢. الغيبة، الطوسي: ٢٢١.

٣. الغيبة، الطوسي: ٢٢٣.

٤. المصدر نفسه: ٢٢٢؛ البحار: ٥١ / ٣٥١.

٥. الغيبة: ٢٢٦-٢٢٧؛ البحار: ٥١ / ٣٥٥.

وقد كان الحسين بن روح من أصحاب السفير الثاني المقرّبين، وكان العمري يعدّه لأمر الوكالة والسفارة منذ وقت طويل، فكان يحيل الشيعة في دفع الأموال إليه حيث كان همزة الوصل بين عثمان بن سعيد والشيعة.<sup>(١)</sup>

كان الحسين بن روح قد ألّف كتاباً في فقه الشيعة تحت عنوان التأديب، وقد أرسله إلى فقهاء قم لينظروا فيه، فكتبوا رداً عليه: أنّه كلّ صحيح – يطابق فتاوى الشيعة – وما فيه شيء يخالف إلّا مسألة واحدة.<sup>(٢)</sup>

و قد أثنى بعض المعاصرين على عقله وفطنته ومعرفته فقال: وكان أبو القاسم من أعقل الناس عند المخالف والموافق.<sup>(٣)</sup>

وسجن الحسين بن روح مدة خمسة أعوام في عهد الخليفة المقتدر وأُفرج عنه سنة ٣١٧هـ<sup>(٤)</sup> وأخيراً وبعد نشاط في السفارة والوكالة دام واحداً وعشرين عاماً مات في سنة ٣٢٦هـ.<sup>(٥)</sup>

د: أبو الحسن علي بن محمد السّمري<sup>(٦)</sup>

بأمر من إمام العصر<sup>(٧)</sup> وترشيح وتقديم النوبختي تولى علي بن محمد السمري السفارة والوكالة الخاصة وشؤون الشيعة وإدارتها.<sup>(٨)</sup>

كان السمري من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام<sup>(٩)</sup>. فقد تولّى مهمة

١. الغيبة: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧.

٢. الغيبة، الطوسي: ٢٤٠.

٣. البحار: ٥١/٣٥٦؛ الغيبة: ٢٣٦.

٤. دكتور جاسم حسين، تاريخ سياسي غيب امام دوازدهم: ١٩٩.

٥. الغيبة: ٢٣٨.

٦ و قيل السيمري والصيمري أيضاً؛ تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر: ٤١٢.

٧. إعلام الوري: ٤٤٥.

٨. الغيبة، للطوسي: ص ٢٤٢.

٩. تاريخ الغيبة الصغرى: ٤١٢.

النيابة والوكالة الخاصة حتى عام ٣٢٩ هـ وهي سنة وفاته .

وقد صدر قبل عدة أيّام من وفاته توقيع من طرف الإمام إليه بالنحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر  
إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيّام، فاجمع أمرك ولا  
توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة،  
فلا ظهور إلا بعد إذن الله - تعالى ذكره -، وذلك بعد طول الأمد،  
وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي  
المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة -  
من السماء - <sup>(٢)</sup> فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي  
العظيم». <sup>(٣)</sup>

وبعد ستة أيّام من صدور التوقيع مات أبو الحسن السمرى. <sup>(٤)</sup>

وقد سأله قبل موته: من يقوم مقامك؟ فقال: لم أؤمر بأن أوصي لأحد. <sup>(٥)</sup>

و بموت أبي الحسن علي السمرى تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الشيعة  
تعرف بالغيبة الكبرى، وهي مما سنتحدث عنه في الصفحات التالية.

## مهام ونشاطات السفراء الرئيسية

إنّ انتخاب السفراء والوكلاء من قبل الإمام الثاني عشر يشكل في الواقع

٢. فقد قيل في علائم الظهور أنّ من علاماته خروج السفيناني والصيحة الصادرة من السماء.

٣. الغيبة: ٢٤٢-٢٤٣؛ البحار: ٥١/٣٦١؛ إعلام الورى: ٤٤٥؛ تاريخ الغيبة الصفرى، محمد

الصدر، ص ٤١٥.

٥. المصدر نفسه: ٢٤٢.

٤. الغيبة: ٢٤٣.

تواصلًا وتوسيعاً لنشاطات شبكة الاتصالات النيابية التي قلنا إنها بدأت فعاليتها وفعاليتها في عهد الإمام التاسع عليه السلام واتسعت بشكل ملحوظ في عهد الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام، ووصلت نشاطاتها إلى ذروتها في عهد الإمام القائم، ويمكن حصر نشاطات الوكلاء في الموارد التالية:

### الف: إخفاء اسم ومكان الإمام

ومع أنه كان يمكن رؤية الإمام المهدي في الغيبة الصغرى للنواب والسفراء الأربعة ولبعض الشيعة، وكانت تحدث هذه اللقاءات في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>، غير أنه وبسبب الظروف السياسية العصبية كان كلّ واحد من النواب الأربعة ملزماً بأن لا يذكر اسم ومكان الإمام في الأوساط العامة، لأنه لولا ذلك لكان الإمام عرضة لخطر الجهاز الحاكم.

إن سياسة الاختفاء والتستر هذه كانت تتم وفقاً لأوامر وتوجيهات الإمام، كما صدر ذات يوم توقيع من الإمام ابتداءً ومن دون أن يسأل بشيء يخاطب فيه محمد بن عثمان السفير الثاني: «الذين يسألون عن الاسم أمّا السكوت والجنة وإمّا الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك عندما التقى ذات يوم عبد الله بن جعفر الحميري وأحمد بن إسحاق الأشعري وهما من كبار أصحاب الأئمة ووجهاء الشيعة وشيوخها - بعثمان بن سعيد - السفير الأوّل - وسألاه: أنت رأيت الخلف من أبي محمد العسكري؟

١. الغيبة، الطوسي: ٢٢٢-٢٤٦؛ كمال الدين: ٤٤.

٢. الغيبة: ٢٢٢.

فقال: اي والله.

فسألاه عن الاسم؟ فقال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم ولكن عنه ﷺ، فإن الأمر عند السلطان - الحكم العباسي - أن أبا محمد العسكري مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه، وأخذ من لا حق له فصبر على ذلك، وهو ذا عماله يجولون فليس أحد يجسر أن يتقرب إليهم ويسألهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فالله الله اتقوا الله وامسكوا عن ذلك.<sup>(١)</sup>

وفي فترة سفارة أبي القاسم بن روح سئل أبو سهل النوبختي الذي كان من كبار الشيعة فقيل له: كيف صار هذا الأمر - السفارة - إلى الشيخ أبي القاسم بن روح دونك؟

فقال: هم أعلم وما اختاروه ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحاجة على مكانه لعلني كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.<sup>(٢)</sup>

### ب: إعداد الوكلاء وتعبثهم

وكما أشرنا كان وكلاء الإمام المحليون في عصر الغيبة - لكل منهم مهمته ومجال نشاطه - قد استقروا في المناطق التي تزدهم بالشيعة، وعلى الرغم من أن هؤلاء الوكلاء كانوا يتصلون في عهد الإمامين العاشر والحادي عشر بهما عادة من خلال الوكيل الرئيسي، غير أن إمكانية الاتصال المباشر بالإمام كانت موجودة لهم أيضاً، ولكن هذه إمكانية قد انتفت في الغيبة الصغرى، وكان الوكلاء

الثانويون والمحليون - وقد ذكرنا بعضاً من أسمائهم -<sup>(١)</sup> في المناطق المختلفة يقومون بنشاطاتهم تحت إشراف السفير الخاص ويحولون الأسئلة والرسائل والحقوق الشرعية التي يدفعها الشيعة لهم إلى السفير ومنه إلى الإمام الغائب.

وكما أشرنا مسبقاً كان في بغداد وحدها عشرة وكلاء ناشطون تحت إشراف أبي جعفر محمد بن عثمان.<sup>(٢)</sup>

وكان السفراء الأربعة لا يدفعون القبض ازاء ما يستلمونه من الأموال الشرعية، غير أن الشيعة كانوا يطالبون الوكلاء الآخرين بتلك القبض، ففي الأيام الأخيرة من حياة محمد بن عثمان - وكما يقول الشيخ الطوسي - كان هناك شخص يدفع الأموال المتعلقة بالإمام إلى الحسين بن روح ويطالبه بالقبض، فشكا الحسين ذلك إلى محمد بن عثمان، فأمره أن لا يطالبه بذلك، وأضاف: كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إلي.<sup>(٣)</sup>

### ج: استلام أموال الإمام وتوزيعها

كان الوكلاء والسفراء يستلمون الأموال المتعلقة بالإمام التي كان الشيعة يدفعونها لهم مباشرة أو من خلال الوكلاء الآخرين ويوصلونها وبأي نحو كان إلى الإمام أو يصرفونها في المجالات التي كان الإمام يأمر بصرفها فيها.

وقد جاء في أيام استشهاد الإمام العسكري ﷺ جماعة من شيعة قم و مناطق أخرى من إيران إلى سامراء، وعلموا هناك بموته ﷺ وكانوا يحملون معهم

١. وقد ذكر المرحوم الطبرسي فهرساً جيداً عن أسماء هؤلاء الوكلاء مع ذكر منطقة مهمتهم: إعلام الوري: ٤٥٤.

٢. الغيبة، الطوسي: ٢٢٥.

٣. المصدر نفسه: ٢٢٥ و ٢٢٦.

أموالاً من شيعة بلادهم ليدفعونها إلى الإمام، ولما سألوا عن خلف الإمام العسكري عرّف البعض جعفرأ الكذاب لهم، فراحوا يسألونه عن الأموال وعلاماتها - كالعادة - حتى يتضح أنّه يحمل علم الإمامة ومعرفتها أو لا؟ وعندما عجز جعفر عن الإجابة امتنعوا عن دفع الأموال وهتموا بالرجوع إلى وطنهم، وخرجوا من سامراء و في خارجها لحق بهم رسول الإمام القائم السري ودلّاهم عليه.

وبعد تشرّفهم بلقاء الإمام وإخباره إيّاهم بعلامات الأموال التي بحوزتهم دفعوها إليه، ثمّ قال عليه السلام: «لا تحملوا إلى سامراء شيئاً بعد هذا، فإنّي سأجعل أحدهم في بغداد فادفعوا الأموال إليه والتوقيع يخرج منه».<sup>(١)</sup>

ومنذ ذلك الحين نصب الإمام عثمان بن سعيد سفيراً ووكيلاً عنه، فبدأ مهمته في بغداد.

### د: الإجابة على الأسئلة الفقهية وحل المشاكل العقائدية

إنّ نشاط السفراء الأربعة لا ينحصر فيما ذكرناه، بل إنّ نطاق فعاليتهم يشمل الإجابات على أنواع الأسئلة الفقهية والشرعية ومعالجة الشبهات العقائدية ومواجهة الإشكاليات التي كان يثيرها المخالفون ويسعون من وراء ذلك لتضعيف وتشتيت عقائد الشيعة وأفكارهم، وقد كان النواب والسفراء يقومون بواجباتهم هذه من خلال الإفادة من تعاليم الإمام ومعرفته الراقية جداً على أحسن وجه.<sup>(٢)</sup> إلقاء نظرة عابرة على جدول أعمال السفراء الأربعة يبيّن الجوانب الواسعة لجهودهم الناجحة في هذا المجال، فقد كانوا من جهة يستأصلون

١. الغيبة: الطوسي: ٢٢٥-٢٢٦.

٢. إكمال الدين، الصدوق: ٤٧٦-٤٧٩.

الشبهات المتعلقة بنفي وإنكار وجود الإمام بطرق مختلفة، ولذلك كانوا يكشفون اضطراراً عن لقاءاتهم السرية بالإمام<sup>(١)</sup> أحياناً، وكان يصدر توقيع من قبل الإمام حول ذلك، فكان يساهم عليه السلام في دفع ومعالجة تلك الشبهات والإشكاليات.<sup>(٢)</sup>

ومن جهة أخرى كانوا يحملون الأسئلة الفقهية والشرعية التي يطرحها الشيعة إلى الإمام، فيستلمون أجوبتها وينقلونها إليهم، وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى التوقيع الذي خرج على يد محمد بن عثمان وأُجيب خلاله على أسئلة إسحاق بن يعقوب في المجالات المختلفة.<sup>(٣)</sup>

وهكذا يمكن الإشارة إلى التوقيع التفصيلي الذي صدر رداً على أسئلة رسول أهالي قم محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري.<sup>(٤)</sup>

وفضلاً عن ذلك كان السفراء يناظرون المخالفين ويتباحثون معهم أحياناً فيفحمونهم بالحجج ويؤكدون على أنّ إجاباتهم هذه قد تعلموها من الإمام، كما دحض الحسين بن روح إشكالية أثارها أحدهم حول استشهاد الإمام الحسين في إحدى المناظرات وأجاب عنها على نطاق واسع، وقال في اليوم التالي لأحد الشيعة الذي كان يعتقد أنّ إجاباته أمس كانت من عصارة فكره: لأن آخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق أحب إلي من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك مسموع من الحجة.<sup>(٥)</sup>

وكذلك قدّم إجابات رائعة حول أسئلة طرحها أحد المتكلمين حول قاتل الإمام موسى بن جعفر وأنه هل مات الأئمة المعصومون بالسم أو بالسيف؟ وسر

١. إكمال الدين: ٤٤٠-٤٤١.

٢. الغيبة، الطوسي: ١٧٦-١٧٧.

٣. المصدر نفسه: ٤٥٢-٤٥٣.

٤. المصدر نفسه: ٢٢٩-٢٣٦.

٥. الغيبة، الطوسي: ١٩٨-١٩٩.

أفضلية السيدة فاطمة عليها السلام على بنات رسول الله؟ مما أثار إعجاب ذلك العالم، فقال: فما رأيت أحداً تكلم وأجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجز من جوابه.<sup>(١)</sup>

### هـ: مواجهة دعاة السفارة الكاذبين

وينبغي أن نضيف مواجهة الغلاة ومدّعي النيابة الكاذبين والكشف عن بطلان ادّعاءاتهم إلى نشاطات السفراء الأربعة أيضاً.

وكما وضحنا في سيرة الإمام الهادي كان هناك بعض المنحرفين المتهاكين على الدنيا يدّعون (ومن خلال بث أفكار واهية مثل تأليه الأئمة لأنفسهم) بعض الدرجات والمقامات، ويأخذون الخمس والحقوق الشرعية الأخرى باسم الإمام، ممّا وفر أسباب تشويه سمعة الشيعة وأثار المشاكل للأئمة، ومضافاً إلى هؤلاء ظهر آخرون يدّعون النيابة والسفارة عن الإمام كذباً، ويعبثون بأموال الإمام، ويقولون في المسائل الفقهية والعقائدية بأقوال مضلّة باطلة.

ومن هنا راح السفراء الأربعة وبتوجيهات الإمام يواجهونهم، وكانت التواقيع تصدر أحياناً بلعنهم ونبذهم من قبل الإمام.

وكان أبو محمد الشريعي، محمد بن نصير النميري، أحمد بن هلال الكرخي، أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، الحسين بن منصور الحلاج، ومحمد بن علي الشلمغاني من هذا الصنف.<sup>(٢)</sup>

وقد كان الشلمغاني في السابق أحد فقهاء الشيعة حتى أنّه ألّف كتاباً تحت عنوان «التكليف»، غير أنّه انحرف بعد ذلك وغلا وتبنّى أفكاراً إلحادية، ومنها

١. المصدر نفسه: ٢٣٨-٢٣٩.

٢. الغيبة: ٢٤٤.

أنّه أصّر على نظرية الحلول، وكان يقول: إنّ روح نبي الإسلام حلّت في محمد بن عثمان السفير الثاني، وروح أمير المؤمنين حلّت في بدن الحسين بن روح، وروح فاطمة حلّت في أمّ كلثوم بنت محمد بن عثمان.

وعدّ الحسين بن روح ذلك الرأي كفراً وإلحاداً وأنّه يماثل ما قاله النصاري في المسيح ولعنه وتبرأ منه. وفضحه من خلال إذاعة آرائه الانحرافية في عشيرته وقومه.

ونظراً لدور الشلمغاني المخرب صدر توقيع على يد الحسين بن روح في لعنه وتكفيره وارتداده في ذي الحجة عام ثلاثمائة واثنى عشر، وأخيراً قد قتل عام ٣٢٣هـ.<sup>(١)</sup>

### الغيبة الكبرى

وكما أشرنا أنّ الغيبة الكبرى تبدأ بموت رابع سفراء الإمام الثاني عشر، وفيها يكون للفقهاء - الذين تتوفر فيهم شروط - النيابة العامة عن إمام الزمان، وكما لاحظنا كانت النيابة الخاصة هي أن يعرف الإمام شخصاً باسمه وصفته ويجعله نائباً عنه، ولكن النيابة العامة هي أن يضع الإمام شروطاً ومعايير عامة لتبقى على طول التاريخ مقياساً، كلّما ظهر شخص تتوفر فيه تلك الشروط أصبح نائباً عن الإمام ومرجعاً للشيعة في أمور الدين والدنيا.

وقد وضح الأئمة المعصومون لا سيما الحجّة بن الحسن المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هذه الشروط في عدة روايات، وألزموا المسلمين بالرجوع إلى من

١. الغيبة، الطوسي: ٢٤٨-٢٥٤؛ تاريخ سياسي غيب الإمام دوازهيم: ٢٠٠-٢٠٥. ويعتقد المسعودي أنّه قتل عام ٣٢٢؛ التنبيه والاشراف: ٣٤٣.

تتوفر فيهم تلك الشروط وأن يعملوا بما يقولونه في عصر الغيبة الكبرى، وسنشير هنا إلى بعض تلك الروايات ونذكرها للقراء الكرام:

١. قال عمر بن حنظلة: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟

قال عليه السلام: «من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾<sup>(١)</sup> و قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

قلت: فكيف يصنعان؟ قال عليه السلام: «ينظران إلى مَنْ كان منكم مَنْ قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته حاكماً عليكم، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردة، والراد علينا الراد على الله، وهو على حدّ الشرك بالله»<sup>(٣)</sup>.

إنّ هذا الحكم الذي أصدره الإمام الصادق عليه السلام هو حكم عام يشمل جميع الفقهاء الذين تتوفر فيهم الشروط. وعند ما لا يرضى الإمام بالرجوع إلى الطواغيت وقضاتهم في القضايا البسيطة الشخصية فإنه لن يرضى قطعاً بأن يقع زمام أمور المسلمين بيد الحكام الظالمين، بل أنه جعل ذلك في عهدة الفقهاء

١. والمراد من الطاغوت هو من يحكم بالباطل ويتصدى للحكم ولا يكون أهلاً له والطاغوت صيغة مبالغة مشتقة من الطغيان، وكان هؤلاء قد بلغوا الذروة في كسر الحدود والطغيان.

٢. النساء: ٦٠.

٣. أصول الكافي: ١/ ٦٧، كتاب فضل العلم، ح ١٠؛ وسائل الشيعة: ١٨/ ٩٩، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي.

العدول من الشيعة.

٢. قال إسحاق بن يعقوب: سألت محمد بن عثمان - السفير الثاني للإمام - أن يوصل لي كتاباً إلى الإمام - عجل الله تعالى فرجه الشريف - قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان ، و كان من أسئلتني هو إلى من الرجوع في الحوادث الواقعة في عصر الغيبة؟

فجاء الجواب:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله». (١)

ومع أنّ إسحاق بن يعقوب كان يسأل عن وظيفته الشرعية، غير أنّ الإمام أجاب بشكل عام وعيّن وظيفة الشيعة جميعاً.

### المهدي في مصادر الشيعة

فقد رويت أخبار وأحاديث كثيرة عن نبي الإسلام والأئمة عليهم السلام حول ولادة الإمام المهدي وغيبته وظهوره وثورته العالمية وجميع صفاته، وفي الواقع قد أخبروا وقبل سنوات عديدة من ولادته عن صفاته وحالاته، من قبيل أنّه من أهل البيت، ومن أولاد فاطمة والحسين، وأنّه يملأ بثورته العالمية الأرض عدلاً وقسطاً. وقد بلغت الروايات في هذا الموضوع حداً قلما نرى موضوعاً من المواضيع الإسلامية قد تحدثت الروايات عنه بهذا الكم الهائل.

وفي البداية سنذكر عدد الروايات التي جاءت عن أئمة الشيعة حول الإمام المهدي، وأسماء الكتب التي ألفها علماء هذا المذهب حول ذلك بشكل

١. الغيبة ص ١٧٧؛ إعلام الوري، ص ٤٥٢؛ الوسائل: ١٨ / ١٠١؛ الاحتجاج: ٢ / ١٦٣.

مستقل، ثمّ نعرض الأحاديث المروية عن نبي الإسلام عن طريق أهل السنة وكتبهم حول هذا الموضوع.

وهنا من المناسب أن نذكر بأنّ عصر كلّ واحد من الأئمة وإن كان يحمل طابعه الخاص به وإنّ اهتمام أولئك الكرام كان يدور حول قضايا عصرهم الملحة، غير أنّه وفي الوقت ذاته كان موضوع الإمام المهدي يستقطب اهتمامهم دائماً، وكانوا ينتهزون الفرصة بين الحين والآخر للحديث عنه والتنبؤ حوله، سنذكر الآن على سبيل المثال عدد الأحاديث المروية عن الأئمة ؑ حول ذلك إجمالاً، ونقدّمها إلى القراء الكرام.

١. أمير المؤمنين ؑ ٥١ حديثاً.
٢. الإمام الحسن ؑ ٥ أحاديث.
٣. الإمام الحسين ؑ ١٤ حديثاً.
٤. الإمام زين العابدين ؑ ١١ حديثاً.
٥. الإمام الباقر ؑ ٦٣ حديثاً.
٦. الإمام الصادق ؑ ١٢٤ حديثاً.
٧. الإمام موسى بن جعفر ؑ ٦ أحاديث.
٨. الإمام علي الرضا ؑ ١٩ حديثاً.
٩. الإمام الجواد ؑ ٦ أحاديث.
١٠. الإمام الهادي ؑ ٦ أحاديث.

---

١. دادگستر جهان: ٧٤-٨٢ أعدّ هذا الإحصاء نقلاً عن كتاب «منتخب الأثر» ولو استمر البحث أكثر لكانت الأحاديث أكثر من ذلك. هذا وفيما يتعلق بالأحاديث النبوية سنتحدث عنها في قسم أحاديث أهل السنة.

١١. الإمام الحسن العسكري ٢٢ حديثاً.<sup>(١)</sup>

وسنكتفي بذكر بضعة أحاديث على سبيل المثال:

الف: قال أمير المؤمنين: قال رسول الله ﷺ: «لا ينقضي عمر الدنيا حتى يملك رجل من صلب الحسين ويملاها عدلاً كما ملئت ظلماً».<sup>(١)</sup>

وروي عنه أيضاً في نهج البلاغة أحاديث كثيرة حول ذلك<sup>(٢)</sup> ومنها:

«لتعطفن الدنيا علينا عطف الضروس على ولدها»<sup>(٣)</sup> قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ب: قال الحسين بن علي عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، كذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول».<sup>(٥)</sup>

ج: قال الإمام الجواد عليه السلام مخاطباً عبد العظيم الحسني: «إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالإمامة أنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن الله يصلح أمره في ليله كما أصلح أمر كلمه موسى ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي» ثم قال عليه السلام: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج».<sup>(٦)</sup>

١. دلائل الإمامة، الطبري: ٢٤٠.

٢. مهدي منتظر در نهج البلاغة، إيماني.

٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩/١٩.

٤. القصص: ٥. ٥. إكمال الدين: ٣١٨/١.

٦. إكمال الدين: ٣٧٧/٢؛ البحار: ١٥٦/٥١.

## الكتب التي ألّفت حول المهدي قبل ولادته

بلغ موضوع غيبة الإمام المهدي وظهوره درجة من البدهاة واليقين ان ألّف حوله كتب متعدّدة، ويرجع تاريخ تأليف بعضها إلى سنوات قبل ولادته، فقد ألّف مثلاً الحسن بن محبوب الزرّاد (المتوفّى ٢٢٤هـ) - وهو من المحدثين والمؤلّفين الشيعة الموثوقين - كتاب «المشيخة» قبل الغيبة الكبرى بمائة عام، وروى فيه الأخبار المتعلقة بالمهدي<sup>(١)</sup>.

وكتب المرحوم الطبرسي: وخلّدها - أخبار المهدي عليه السلام - المحدثون من الشيعة في أصولهم المؤلّفة في أيام الإمامين الباقر والصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وكذلك كتب بعض أصحاب الأئمة حول الإمام وخروجه، مثل: إبراهيم بن صالح الأنباطي<sup>(٣)</sup> وهو من أصحاب الإمام الباقر، والحسن بن محمد بن سماع<sup>(٤)</sup> وهو من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ومحمد بن الحسن بن جمهور<sup>(٥)</sup> وهو من أصحاب الإمام الرضا، وعلي بن مهزيار<sup>(٦)</sup> وهو من أصحاب الإمام الجواد، والفضل بن شاذان النيشابوري<sup>(٧)</sup> من أصحاب وتلامذة الأئمة: الرضا والجواد والمهدي<sup>(٨)</sup>.

٢. إعلام الوری: ٤٤٣.

١. إعلام الوری: ٤٤٣-٤٤٤.

٣. الفهرست، الطوسي: ١٤؛ فهرست أسماء مصنفی الشيعة، النجاشي: ١١؛ الرجال، ابن داود: ٣٢.

٤. فهرست أسماء مصنفی الشيعة: ٢٩؛ الفهرست: ٩٨.

٥. الفهرست: ٢٨٤. ٦. فهرست أسماء مصنفی الشيعة: ١٧٨.

٧. المصدر نفسه: ١٧؛ منتخب الأثر: ٤٦٦-٤٦٧.

٨. وبديهي أنّ إبراهيم الأنباطي والحسن بن محمد بن سماع كانا واقفين، ويرمون من وراء تأليف هذا النوع من الكتب إثبات نظريتهم، ولكن يدلّ هذا الأمر على كلّ حال على أنّ الغيبة كانت موضوعاً مفروغاً عنه، دكتور جاسم حسين، تاريخ سياسی غيبت امام دوازدهم: ٢١-٢٢.

## المهدي في مصادر أهل السنة

ولا يختص الاعتقاد بالمهدي والمهدوية - كما أشرنا سابقاً - بالمذهب الشيعي، بل ذكر عدد كبير من محدثي أهل السنة الروايات المتعلقة بالإمام ورووها عن كثير من الصحابة والتابعين في كتبهم لدرجة أن كتب المذاهب الإسلامية الأخرى - فضلاً عن الشيعة - كالمذهب الحنفي، الشافعي، المالكي، والحنبلي مفعمة بالروايات النبوية التي تتحدث حول المهدي وخروجه، ووفقاً لما حققه بعض الباحثين الكبار وتوصل إليه أن محدثي أهل السنة قد رووا أحاديث المهدي عن ٣٣ شخصاً من الصحابة في كتبهم.<sup>(١)</sup>

فقد ذكر مائة وستة أشخاص من كبار علماء أهل السنة المشهورين أحاديث ظهور الإمام الغائب في كتبهم.<sup>(٢)</sup>

وألّف ٣٢ منهم كتباً مستقلة حول المهدي عليه السلام.<sup>(٣)</sup>

فإنّ مسند أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١ هـ)؛ وصحيح البخاري (المتوفى ٢٥٦ هـ) من كتب أهل السنة الشهيرة التي ألّفت قبل ولادة الإمام القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وجاء فيها تلك الأحاديث المتعلقة به عليه السلام.<sup>(٤)</sup>

ومن الأحاديث التي يرويها أحمد بن حنبل هو: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم

١. نويد امن وامان، لطف الله الصافي: ٩١-٩٢.

٢. المصدر نفسه: ٩٢-٩٥.

٣. المصدر نفسه: ٩٥-٩٩.

٤. صحيح البخاري، شرح الشماخي: ٤/٦٣٣، الباب ٩٤٥؛ مسند أحمد: ١/٨٤ و ٩٩ و ٤٤٨ و ج ٣/٢٧ و ٣٧؛ سنن ابن ماجه: ٢/١٣٦٦-١٣٦٨؛ كتاب الفتن الباب ٣٤، الحديث ٤٠٨٢-٤٠٨٨.

لبعث الله عزوجل رجلاً منا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغت الأحاديث النبوية حول المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وصفاته وعلاماته في كتب ومصادر أهل السنة القديمة حداً جعل علماءهم وحفاظهم الكبار يعدّون تلك الأحاديث متواترة.<sup>(٢)</sup>

وطبقاً لدراسة إجمالية صرح ١٧ عالماً من علماء أهل السنة الكبار بتواتر أحاديث المهدي في كتبهم.<sup>(٣)</sup>

وقد ألف الشوكاني حول إثبات تواترها كتاباً تحت عنوان : «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح».<sup>(٤)</sup>

ومن المناسب هنا أن نذكر - على سبيل المثال - كلمات بعض علماء أهل السنة المعروفين حول هذا الموضوع:

١. فقد قال الشوكاني في كتابه المذكور وبعد أن أورد أحاديث المهدي:

وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع، فتقرر بجميع ما سقناه أنّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة... وهذا يكفي لمن

١. مسند أحمد بن حنبل: ٩٩/١.

٢. التواتر والتواتر من اصطلاحات علم الحديث. ويقصد بالخبر المتواتر هو الخبر - بحد ذاته لا بانضمام القرائن - الذي يرويه جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، وبالتالي يوجب اليقين بمحتواه. علم الحديث، كاظم مدير شانجي: ١٤٤.

وهكذا يمكن التعبير عن التواتر بالثبوت القطعي، وعن الخبر المتواتر بالثابت والقطعي الحديث الذي يرويه عدد كبير من الرواة في كثير من الكتب ونقل من خلال المحدثين وشيوخ الحديث كإبراهيم عن كابر ومن جيل إلى جيل وثبوت وصدره قطعي عن النبي الأكرم أو الأئمة الأطهار عليهم السلام (خورشيد مغرب، الحكيمي: ٩٩).

٣. نويد أمن وأمان، الصافي، ص ٩٠-٩١.

٤. المصدر نفسه: ٩١.

كان عنده ذرة من إيمان وقليل من إنصاف.<sup>(١)</sup>

٢. قال الحافظ<sup>(٢)</sup> أبو عبد الله الكنجي الشافعي (المتوفى ٦٥٨ هـ) في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» (الباب ١١): تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ في أمر المهدي.<sup>(٣)</sup>

٣. قال الحافظ الشهير ابن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفى ٨٥٢ هـ) في كتاب «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وإن عيسى ﷺ سينزل ويصلي خلفه.<sup>(٤)</sup>

٤. كتب المؤمن الشبلنجي: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه (المهدي) من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً.<sup>(٥)</sup>

٥. وكتب الشيخ محمد الصبان: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ بخروجه، وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً.<sup>(٦)</sup>

٦. وكتب الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر الكبار المعاصرين ومؤلف كتاب «التاج الجامع للأصول»<sup>(٧)</sup>:

١. نقلاً عن غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور علي ناصف: ٣٢٧/٥.
٢. الحافظ هو الذي أحاط علماً بسنن النبي الأكرم وعرف موارد اتفاقها واختلافها واطلع على أحوال الرواة وطبقات مشايخ الحديث بشكل كامل. علم الحديث، كاظم مدير شانجي: ٢٢/٢.
٣. منتخب الأثر، ص ٥، الهامش.
٤. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٤٩٣/٦ - ٤٩٤.
٥. نور الأبصار: ١٧١.
٦. إسعاف الراغبين، هامش نور الأبصار: ١٤٠.
٧. إن هذا الكتاب قد أُلّف - كما يبدو من مقدّمته - بهدف الحصول على مجموعة موثوق بها من أصول الحديث الخمسة التي هي من أهم كتب الحديث لدى أهل السنّة، وطبع في خمس مجلدات، وقد كتب المؤلف شرحاً عليه باسم «غاية المأمول» وهو في هامشه.

واشتهر بين العلماء قديماً وحديثاً أنه سيظهر رجل من أهل البيت في آخر الزمان اسمه المهدي يملك جميع البلدان الإسلامية، ويتبعه جميع المسلمين، ويعدل بينهم ويؤيد الدين، ثم يظهر الدجال، وينزل المسيح ويقتل الدجال، أو يتعاون مع المهدي في قتله.

وقد روى أحاديث المهدي النبوية جماعة من أصحابه عليه السلام الصالحين، فقد رواها محدثون كبار كأبي داود، الترمذي، ابن ماجه، الطبراني، أبي يعلى، البزار، الإمام أحمد بن حنبل، والحاكم النيشابوري في كتبهم.<sup>(١)</sup>

وكتب ابن أبي الحديد أحد أكثر علماء أهل السنة بحثاً وتبعاً حول هذا الموضوع: وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه (المهدي).<sup>(٢)</sup>

### بيان رابطة العالم الإسلامي

ونختم هذا الفصل بنقل البيان الرسمي لرابطة العالم الإسلامي التي هي من أكبر مراكز الوهابية ومقرّها في مكة بصفته وثيقة وشاهداً حياً على عقيدة وإيمان جميع المسلمين بالمهدي، ومن جوانب أهمية هذا البيان هو أنه يبيّن أن من أكثر الفرق تطرفاً في عدائها للشيعة قد قبلت هذا الموضوع أيضاً، ولم تقبله فقط، بل راحت تدافع عنه بحماس، وتعدّه من العقائد الإسلامية البديية المسلمة، وذلك لكثرة الأدلة والوثائق في هذا المجال، مضافاً إلى أن هذه الرابطة تمارس نشاطها كمركز إسلامي عالمي.

١. التاج الجامع للأصول: ٣١٠/٥.

٢. شرح نهج البلاغة: ٩٦/١٠.

وعلى أي حال كان قد سأل شخص يدعى أبا محمد من كينيا حول ظهور المهدي المنتظر الرابطة عام ١٩٧٦م، ورداً على سؤاله وضمن تأكيده على أن ابن تيمية - مؤسس المذهب الوهابي - قد قبل أحاديث المهدي، أرسل الأمين العام للرابطة رسالة قصيرة إليه كتبها خمسة من علماء الحجاز المعروفين حالياً حول موضوع المهدي، وقد جاء فيها بعد أن ذكر اسم الإمام المهدي ومكان ظهوره:

ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب...، هو آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلوات الله وسلامه عليه في الصحاح.

وأحاديث المهدي واردة عن الكثير من الصحابة يرفعونها إلى رسول الله ﷺ؛ ومنهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وثوبان، وقرّة بن أياس المزني، وعبد الله بن الحارث بن جز، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وجابر بن ماجد الصديقي، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعمران بن الحصين، وأم سلمة. هؤلاء عشرون منهم ممن وقفت عليهم، وغيرهم كثير، وهناك آثار عن الصحابة مصرّحة بالمهدي من أقوالهم كثيرة جداً لهم حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد فيها أحاديث هؤلاء الصحابة التي رفعوها إلى النبي ﷺ، والتي قالوها من أقوالهم اعتماداً على ما قاله رسول الله ﷺ.

ورواها الكثير من دواوين الإسلام وأئمة الحديث النبوي من السنن والمعاجم والمسانيد؛ منها: سنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن عمرو الداني، ومسانيد أحمد وأبي يعلى والبزار، وصحيح الحاكم، ومعاجم الطبراني الكبير

والألوسي والرويانى والدارقطني في الأفراد، وأبو نعيم في أخبار المهدي، والخطيب في تاريخ بغداد، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وغيرها.

وقد خصّ المهدي بالتأليف أبو نعيم في «أخبار المهدي» وابن حجر الهيثمي في «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» والشوكاني في «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح» وإدريس العراقي المغربي في تأليفه «المهدي» وأبو العباس بن عبد المؤمن المغربي في كتابه «الوهم المكنون في الرد على ابن خلدون».

وآخر من قرأت له عن المهدي بحثاً مستفيضاً مدير الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في مجلة الجامعة أكثر من عدد.

وقد نصّ على أنّ أحاديث المهدي أنها متواترة جمع من الأعلام قديماً وحديثاً، منهم: السخاوي في «فتح المغيـث» ومحمد بن أحمد السفاويني في «شرح العقيدة» وأبو الحسن الابري في «مناقب الشافعي» وابن تيمية في فتاواه والسيوطي في «الحاوي» وإدريس العراقي المغربي في تأليف له عن المهدي، والشوكاني في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، ومحمد بن جعفر الكناني في «نظم المتناثر في الحديث المتواتر»، وأبو العباس بن عبد المؤمن المغربي في «الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» ٥.

وحاول ابن خلدون في مقدّمته أن يطعن في أحاديث المهدي محتجاً بحديث موضوع لا أصل له عند ابن ماجة: لا مهدي إلا عيسى، ولكن ردّ عليه الأئمة والعلماء، وخصّه بالرد شيخنا ابن عبد المؤمن بكتاب مطبوع متناول في المشرق والمغرب منذ أكثر من ثلاثين سنة ونصّ الحفاظ والمحدثون على أنّ أحاديث المهدي فيها الصحيح والحسن، ومجموعها متواتر مقطوع بتواتره وصحته،

وإن الاعتقاد بخروج المهدي واجب، وأنه من عقائد أهل السنة والجماعة، ولا ينكر إلا جاهل بالسنة ومبتدع في العقيدة، والله يهدي إلى الحق ويهدي السبيل.

مدير إدارة المجمع الفقهي الإسلامي

محمد منتصر الكناني<sup>(١)</sup>

## من هو أبو المهدي؟

والجدير ذكره هنا هو أنه قد ذكرت بعض مصادر أهل السنة أن اسم أبي الإمام المهدي هو عبد الله<sup>(٢)</sup>، في حين توجد أحاديث كثيرة في المصادر الشيعية والسنية تقول إن اسمه هو الحسن عليه السلام، والسبب في هذا الاختلاف هو أنه قد ذكرت في بعض روايات أهل السنة حول صفات المهدي هذه العبارة عن نبي الإسلام وهي: ... يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي<sup>(٣)</sup>.

وهناك قرائن وأدلة تدل على أن العبارة الأخيرة - أي اسم أبيه اسم أبي - قد أُضيفت من قبل الرواة عن عمد أو خطأ إلى الحديث حيث لم يكن فيه غير عبارة يواطئ اسمه اسمي.

وقال الحافظ الكنجي الشافعي حول هذا الموضوع:

إن الترمذي<sup>(٤)</sup> ذكر هذا الحديث ولم يذكر قوله: واسم أبيه اسم

١. مهدي انقلابي بزرگ: ١٥١-١٥٥.

٢. وقد اعتمد بيان الرابطة على هذه المصادر أيضاً.

٣. سنن أبي داود: ٤/١٠٦؛ كتاب الملاحم والفتن، ح ٤٢٨٢؛ تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٢٧٢.

٤. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مات عام ٢٧٩ هـ وهو صاحب أحد الصحاح الستة المشهورة والمعتبرة لدى أهل السنة.

أبي<sup>(١)</sup>، وأن الإمام أحمد بن حنبل مع ضبطه وإتقانه روى هذا الحديث في مسنده عدة مواضع: «واسمه اسمي» وليس فيه القول الأخير.<sup>(٢)</sup>

ويضيف الكنجي قائلاً: وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الأخبار «اسمه اسمي» فقط والذي رواه «واسم أبيه اسم أبي» فهو «زائدة» وهو يزيد في الحديث.

وقد جمع الحافظ أبو نعيم طرق هذا الحديث عن الجهم الغفير - وهم واحد وثلاثون إماماً من أئمة الحديث - في كتاب «مناقب المهدي» كلهم عن عاصم بن أبي النجود، وكلهم رووا: «اسمه اسمي»، إلا ما كان من عبيد الله بن موسى عن «زائدة» عن عاصم فإنه قال فيه: «واسم أبيه اسم أبي»، ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها.<sup>(٣)</sup>

### ابن خلدون<sup>(٤)</sup> وأحاديث المهدي

وكما لاحظنا فإن أغلبية علماء أهل السنة قد اتفقوا اتفاقاً متاخماً للإجماع على أن أحاديث المهدي صحيحة ومقبولة، غير أن البعض رفضها أو شكك فيها، ومنهم ابن خلدون فقد قال:

اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على عمر الأعصار أنه

١. أصل الحديث هو: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»؛ سنن الترمذي: ٤/ ٥٠٥، الباب ٥٢، ما جاء في المهدي، الحديث ٢٢٣٠-٢٢٣١.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٤٤٨.

٣. منتخب الأثر: ٢٣١-٢٣٥؛ موسوعة الإمام المهدي: ١/ ١٣-١٦ واحتملوا احتمالات أخرى في هذا المجال أعرضنا عن ذكرها للاختصار.

٤. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ٧٣٢-٨٠٨هـ.

لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ،  
ويظهر العدل، ويسمّى بالمهدي، ويتبعه المسلمون، ويستولي على  
الممالك الإسلامية، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرار  
الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأنّ عيسى ينزل من بعده أو  
ينزل معه فيساعده على قتله، و يأتّم بالمهدي في صلاته...

إنّ جماعة من الأئمة خرّجوا أحاديث المهدي، منهم: الترمذي وأبو  
داود وابن ماجّة والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها إلى  
جماعة من الصحابة، مثل: علي و ابن عباس وابن عمر وطلحة وابن  
مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأمّ حبيبة وأمّ سلمة  
وثوبان وقرّة بن أياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بأسانيد ربما  
يعرض لها المنكرون كما نذكره، إلّا أنّ المعروف عند أهل الحديث أنّ  
الجرّح مقدّم على التعديل<sup>(١)</sup>، فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال  
الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي، تطرق ذلك إلى  
صحّة الحديث وأوهن منها....<sup>(٢)</sup>

ثمّ ينقل عدداً من تلك الأحاديث ويدرس حال رواتها ويعد بعضاً منهم  
غير موثوق به ويضيف: فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي

١. إنّ الجرّح والتعديل اصطلاحان من اصطلاحات علم الحديث.

ويقصد بالجرّح هو أن يوصف الراوي أو الرواة لحديث ما من قبل أئمة الحديث بأوصاف مثل:  
كذاب، وضاع، غال وأوصاف أخرى متعارفة بينهم، فيكون الحديث واهياً على هذا الأساس.  
ويقصد بالتعديل هو أن يذكر الراوي بعناوين مثل: عادل، موثق، وأمثالها فيكون حديثه مقبولاً  
وطبعاً ما ذكرناه إنّها هو المقاييس التي يأخذ بها علماء الشيعة، وأمّا علماء أهل السنة فلمهم  
مقاييسهم، وهي قد لا تتفق مع مقاييس الشيعة.

٢. مقدمة ابن خلدون: ٣١١-٣١٢، ط ٤، إحياء التراث العربي.

وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه.<sup>(١)</sup>

كان ذلك خلاصة نظرية ابن خلدون حول أحاديث المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - .

وقد انتقد العلماء وأئمة الحديث سنيهم وشيعيتهم نظريته ببراهين دامغة، واعتقدوا أنها نظرية واهية.<sup>(٢)</sup>

ونحن هنا سنورد كلاماً ملخصاً للشيخ عبد المحسن العباد أستاذ جامعة المدينة على سبيل المثال: فقد ألقى كلمة في مؤتمر وتحت عنوان «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» رداً على نظرية ابن خلدون:

ألف: أنه لو حصل التردد في أمر المهدي من رجل له خبرة في الحديث لاعتبر ذلك زللاً منه، فكيف إذا كان من الأخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص، وقد أحسن الشيخ أحمد شاكِر في تخريجه لأحاديث المسند حيث قال: أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم واقتحم قحماً لم يكن من رجاله، وأنه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدّمته للمهدي تهافتاً عجيباً، وغلط أغلاطاً واضحة، وأنه لم يحسن قول المحدثين «الجرح مقدّم على التعديل» ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال .

ب: صدر ابن خلدون الفصل الذي عقده في مقدّمته للمهدي بقوله: اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ....

١ . مقدمة ابن خلدون: ٣٢٢ .

٢ . انظر: دادگستر جهان: ٣٠ - ٤٩، مهدي انقلاب بزرگ: ١٥٩ - ١٦٥؛ منتخب الأثر: ٦٥، الهامش.

أقول: هذه الشهادة التي شهدها ابن خلدون، وهي أنّ اعتقاد خروج المهدي هو المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار ألا يسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الأعصار كما ذكره هو نفسه؟! وهل ذلك إلا شذوذ بعد معرفة أنّ الكافة على خلافه؟! وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ؟! والأمر ليس اجتهدادياً وإنّما هو غيبي لا يسوغ لأحد إثباته إلاّ بدليل من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، والدليل معهم وهم أهل الاختصاص.

ج: أنّه قال قبل إيراد الأحاديث: ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن، وقال في نهايتها: فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه في آخر الزمان. وقال في موضع آخر بعد ذلك: وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا.

وأقول: إنّّه قد فاته الشيء الكثير كما يتضح ذلك بالرجوع إلى ما أثبتته السيوطي في «العرف الوردي في أخبار المهدي» عن الأئمة، بل إنّ مما فاته الحديث الذي ذكره ابن القيم في «المنار المنيف» عن الحارث ابن أبي أسامة.

د: أنّ ابن خلدون أورد بعض الأحاديث وقدح فيها رجال في أسانيدهم من رجال الصحيحين أو أحدهما.

هـ: أنّ ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدي من النقد.

وعليه أنّ القليل الذي يسلم من النقد يكفي للاحتجاج به، ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضداً له ومقوياً.<sup>(١)</sup>

١. نشرت كلمة الشيخ عبد المحسن العباد تفصيلاً في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة عام ١٣٨٨هـ. ق ذي القعدة العدد ٣ السنة الأولى ونقلناها عن موسوعة الإمام المهدي، ج ١.

## انتظار المهدي ومدّعو المهدوية

إلقاء نظرة على تاريخ الإسلام يوضح أنّه كان هناك و على مر الزمن أناس دنيويون نفعيون قد ادّعوا المهدوية، أو قسم من عامة الناس آمنوا بأشخاص واعتقدوهم المهدي.

ويدلّ هذا الأمر على أنّ موضوع المهدي والإيمان بظهور منقذ غيبي كان أمراً مسلماً به بين المسلمين<sup>(١)</sup>، وكان كلّما تطابق اسم المهدي أو بعض صفاته مع صفات بعض أولئك المدّعين، استغلّوا ذلك واعتبروا أنفسهم هم المهدي، أو ربما انهم لم يدّعوا شيئاً لكن بعضاً من عامة الناس يعتقدون أنّه المهدي، إمّا جهلاً أو لشدة الظلم الذي يتلقونه من الحكومات أو الاستعجال في ظهور الإمام أو لأسباب أخرى.

كلّ هذا يتم بعيداً عن التدقيق في جميع علامات الإمام وصفاته ممّا يوقعهم في الخطأ فيتصوّرهم المهدي عليه السلام.

فعلى سبيل المثال قالت فرقة أنّ محمّد بن الحنفية هو المهدي، لأنّه سمي النبي وكنيته - سمّاه علي مهدياً، لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك، ولكنّه غاب ولا يدري أين هو وسيرجع ويملك الأرض.<sup>(٢)</sup>

وفرقة زعمت أنّ إسماعيل بن الإمام الصادق لم يمت، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، وإنّه لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وإنّه هو القائم.<sup>(٣)</sup>

١. مقاتل الطالبين: ١٣٨، ١٨٤، ٢٠٧، ٢٥٤، ٤٤٠.

٢. فرق الشيعة، النوبختي، ص ٢٧؛ الملل والنحل، الشهرستاني: ١/ ١٣٢.

٣. فرق الشيعة: ٦٧-٦٨.

وخرج محمد المعروف بالنفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن في أيام المنصور، وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين الناس أنه المهدي، وأثبت أبوه هذا بين الناس فمالوا إليه.<sup>(١)</sup>

وفي أيام خروج النفس الزكية وقف محمد بن عجلان الذي كان من فقهاء وعباد المدينة إلى جانبه، ولما انهزم محمد وقتل اعتقله جعفر بن سليمان والي المدينة وأحضره، وقال له: لماذا خرجت مع هذا الكذاب؟ ثم أمر بقطع يده، وكان من حضر من فقهاء المدينة ووجوهها قد طلبوا العفو لابن عجلان وقالوا: أيها الأمير إن محمد بن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وقد اشتبه عليه الأمر، وظن أن محمد بن عبد الله هو المهدي الذي جاء في الأخبار.<sup>(٢)</sup>

وقد حدثت نفس هذه الورطة لعبد الله بن جعفر أيضاً الذي كان من علماء المدينة الكبار ومحدثيها حيث قال رداً على سؤال حاكم المدينة: خرجت مع محمد بن عبد الله يقيناً مني أنه هو المهدي الموعود الذي جاء في الأخبار، ولم أشك في ذلك في حياته، ولما مات عرفت أنه ليس المهدي ولن أخدع ثانياً.<sup>(٣)</sup>

وأطلق المنصور الذي كان اسمه عبد الله واسم ابنه محمد لقب المهدي عليه، وزعم أن المهدي المنتظر هو ابني وليس النفس الزكية.<sup>(٤)</sup>

وكذلك نجد أن بعض الفرق كانت تعتقد بمهدوية بعض الأئمة السابقين، فالناووسية اعتقدت أن الإمام الصادق هو المهدي والإمام الحلي والغائب.<sup>(٥)</sup>

١. الفخري: ١٦٥-١٦٦.

٢. مقاتل الطالبين: ١٩٣.

٣. نفس المصدر: ١٩٥.

٤. مقاتل الطالبين: ١٦٢.

٥. الملل والنحل، الشهرستاني: ١/١٤٨.

وكان للواقفية نفس هذه العقيدة بالنسبة إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.<sup>(١)</sup>

و زعموا أنه عليه السلام لم يمت وأنه حي لا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملاؤها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، وأنه القائم المهدي.<sup>(٢)</sup> وأخيراً قالت فرقة وبعد رحيل الإمام العسكري أنه حي لم يمت وإنما غاب، وهو القائم.<sup>(٣)</sup>

كانت هذه نماذج تدلّ على أنّ مسألة المهدي كانت أمراً مسلماً به في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وبعده، وكانت الأمة الإسلامية تنتظر الشخص الذي يخرج ويظهر ويقوم في وجه الظلم ويرفع راية العدل والقسط ويجعلها ترفرف عالياً في العالم. ومن الواضح أنّ استغلال المهدوية في بعض العصور من قبل بعض المحتالين والممثلين لا يسوغ إنكار أصل قضية الإمام المهدي، لأنّه قد استغلت الكثير من الحقائق من قبل المخادعين والانتهازيين على مر التاريخ. وليسوا هم بقلة من ادّعى الألوهية أو النبوة والدرجات والمقامات الروحية العالية في هذا العالم، غير أنّ كلّ ذلك لم يدلّ يوماً على أن ينكر أحد وجود الله تعالى ونبوة الأنبياء.

وقد استغل العلم والتكنولوجيا في عصرنا أيضاً وأسيء استخدامهما في مجالات لا إنسانية لكن هذا هل يوجب أن نرفض أصل العلم والتقنية؟!

### ماهية دولة المهدي في القرآن

وقد تناول القرآن الكريم مسألة ظهور الإمام المهدي وخروجه شأنها شأن

٢. فرق الشيعة: ٨٠-٨٣.

١. نفس المصدر، ص ١٥٠.

٣. نفس المصدر: ٩٦.

كثير من المسائل الأخرى دون أن يتعرض إلى التفاصيل، واكتفى ببيان ذلك بشكل عام، أي أنه تحدّث عن ظهور الدولة العالمية العادلة وانتصار الصالحين في الأرض بشكل تام.

وقد اعتقد المفسرون الإسلاميون أنّ هذا النوع من الآيات التي تتناول موضوع المهدي إنّما فسرت به بالتعويل على الأخبار والأحاديث التفسيرية، وسنعرض نحن من مجموع تلك الآيات التي يعتقد المفسرون أنّها تدور حول هذا الموضوع.<sup>(١)</sup> وتدلّ بصراحة على ذلك ثلاث آيات للاختصار:

١. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وتوضيحاً لمعنى هذه الآية نؤكد على أنّ الذكر يعني كلّ ما يوجب التذكر والتذكير، ولكن فسر في الآية بكتاب النبي موسى الساموي أي التوراة بقرينة أنّه كان قبل الزبور. وبناء على تفسير آخر يراد به القرآن الكريم، لأنّه قد أطلقت الآيات القرآنية هذا الوصف على القرآن نفسه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وعليه يكون معنى «من بعد» هو «علاوة على» ويكون تفسير الآية هو: أنا قد كتبنا - علاوة على ما كتبناه في القرآن - في الزبور أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون.<sup>(٤)</sup>

وقد استشهد الشيخ المفيد في بداية الفصل الذي خصه بالإمام المهدي بهذه الآية والآية التي سنذكرها.<sup>(٥)</sup>

وروي في تفسير هذه الآية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «هم أصحاب

١. خورشيد مغرب: ١٤٠-١٥١.

٢. الأنبياء: ١٠٥. ٣. التكوين: ٢٧.

٤. مهدي انقلابي بزرگ، ناصر مكارم: ١٢١-١٢٢.

٥. الإرشاد، المفيد: ٣٤٦.

المهدي في آخر الزمان»<sup>(١)</sup>.

وقال مفسر القرآن الكبير المرحوم الطبرسي في تفسيرها وبعد ذكر الحديث المذكور آنفاً: ويدلّ على ذلك ما رواه العام والخاص عن النبي أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(٢)</sup>.

وتدلّ إشارة القرآن وأخباره حول نبوءة دولة الصالحين في الأرض في التوراة والزبور على أنّ هذا الأمر يحظى بأهمية كبيرة لدرجة أنّه ذكر في الكتب السماوية الواحد تلو الآخر.

والجدير ذكره هو أنّ نفس هذا الموضوع يوجد في كتاب مزامير داود الذي يعد اليوم جزءاً من العهد القديم (التوراة) وهو مجموعة أدعية ومناجات وحكم داود النبي عليه السلام، ولكن عبر عنه بأشكال مختلفة.

ومنها ما جاء في المزمور ٣٧ حيث نقرأ: ... الاشرار ينتهون والمتوكلون على الله سيرثون الأرض وسرعان ما سينعدم الشرير الذي مهما سألت عن مكانه فانه يبقى مجهولاً لكنّ المتواضعين سيرثون الأرض وينعمون من كثرة السلامة».

وكذلك نقرأ في نفس ذلك المزمور «... المباركون سيرثون الأرض واللعناء سينتهون»<sup>(٣)</sup>.

٢. ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

١. مجمع البيان، الطبرسي: ٦٦/٧.

٢. المصدر نفسه: ٦٧.

٣. التوراة، الترجمة الفارسية التي قام بها وليم كلن اكسي بأمر المجمع المعروف ببريتش فاين بيل سستي، طبعة لندن ١٨٥٦م، ص ١٠٣٠.

الوارثين»<sup>(١)</sup> وكما أشرنا في فصل المهدي في مصادر الشيعة — ان أمير المؤمنين قد تلا هذه الآية بعد تنبؤه برجوع الناس إلى أهل البيت<sup>(٢)</sup> والانضواء تحت لوائهم.  
وقال محمد بن جعفر وهو أحد العلويين الذين خرجوا في أيام المأمون: حدثت يوماً مالك بن أنس عما نلاقيه من الضيق، فقال: اصبر حتى يظهر معنى ﴿ونريد أن نمن على الذين...﴾<sup>(٣)</sup>.

٣. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>.

و قال الطبرسي في تفسيرها: والمروي عن أهل البيت أنّها في المهدي من آل محمد. وروى العياشي باسناده عن علي بن الحسين أنّه قرأ الآية و قال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

ثم يضيف الطبرسي: وروي مثل ذلك عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق ﷺ<sup>(٥)</sup>.

١. القصص: ٥.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩/١٩، الحكمة ٢٠٥.

٣. مقاتل الطالبين: ٣٥٩.

٤. النور: ٥٥.

٥. مجمع البيان: ١٥٢/٧.

## فوائد وجود الإمام في عصر الغيبة

وحيث قد وصل البحث حول المهدي إلى هنا، فمن المناسب أن نجيب على أكثر الأسئلة شيوعاً حول المهدي، وهو أنه ما فائدة وجود الإمام في عصر الغيبة؟

وبتعبير آخر: إن حياته في عصر الغيبة حياة شخصية خاصة وليست حياة اجتماعية يلعب فيها دور الإمام، وعليه ماهي الفوائد التي يمنحها وجوده المقدس للناس جميعاً؟ وما هي نوع تلك الفائدة؟

ويجب أن نعرف أن غيبة الإمام لا تعني أنه حول إلى روح وأمواج غير مرئية أو حلم وما يشابه ذلك، بل له حياة اعتيادية وطبيعية في هذا العالم غير أنها مع عمر مديد.

إن الإمام يمارس حياته في قلب المجتمع ويعيش في عدة أماكن ولكن على شكل إنسان مجهول، وهناك فرق بين اللا مرئي والمجهول.<sup>(١)</sup>

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للقائم غيبتان، يشهد في إحدهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه».<sup>(٢)</sup>

وحضوره في موسم الحج خير شاهد على حياته، ولعلّه إشارة إلى أن الناس لا يرونه ولكن لا يعرفونه.

## الشمس المحجوبة

ومما يجب التأكيد عليه حول الإجابة على السؤال المذكور هو أنه ليس سؤالاً

١. مهدي انقلابي بزرگ، ناصر مكارم: ٢٥٠.

٢. أصول الكافي: ١/٣٣٩.

جديداً يطرح لأول مرة في عصرنا، بل يظهر من الروايات أنّ هذا السؤال كان مطروحاً قبل ولادة الإمام المهدي أيضاً، وكان النبي والأئمة السابقون عندما يتحدثون عن المهدي وغيبته الطويلة يواجهون نفس هذا السؤال ويجيبون عليه، فمثلاً:

١. قال النبي رداً على سؤال أنّ الشيعة هل تنتفع بالقائم في غيبته؟  
«اي والذي بعثني بالنبوة اتهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان جللها السحاب»<sup>(١)</sup>.
٢. قال الإمام الصادق عليه السلام: «لم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله».

- فسأل الراوي كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟  
قال الإمام: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»<sup>(٢)</sup>.
٣. وقد أكد الإمام المهدي نفسه على هذا المعنى أيضاً، ففي توقيع أصدره رداً على أسئلة إسحاق بن يعقوب وصل إليه على يد محمد بن عثمان كتب يقول:  
«وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب»<sup>(٣)</sup>.

وتوضيحاً لهذا التشبيه يجب أن نؤكد على أنّ للشمس إضاءتين:

١. إضاءة مباشرة.
٢. إضاءة غير مباشرة.

٢. نفس المصدر: ٥٢/ ٩٢.

١. بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٣ و ٣٦/ ٢٥٠.

٣. الغيبة: الطوسي: ١٧٧؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٢؛ كشف الغمة: ٣/ ٣٢٢.

ففي الأولى تبدو أشعة الشمس مرئية واضحة، ولكن في الثانية يصبح السحاب مثل زجاجة داكنة تحجب ضوء الشمس المباشر فينتشر فيه، غير أنّ آثار الشمس الحيوية في نمو الموجودات لا تختص بالوقت الذي يكون فيه ضوءها يشع على عالم الطبيعة مباشرة فقط، بل أنّ كثيراً من هذه الآثار، كحدوث الحرارة ونمو النباتات وتوليد الطاقة اللازمة للحركة والحياة وإثمار الأشجار وتفتح الأزهار، تظل موجودة والشمس محجوبة وراء السحاب.

ولأشعة وجود الإمام الروحية عندما تكون محجوبة بغيوم الغيبة آثار مختلفة تبين فلسفته الوجودية على الرغم من توقّف دروسه التربوية والتعليمية وقيادته المباشرة، وإليك بعض هذه الآثار.

## ١. روح العالم

إنّ الإمام في الرؤية الإسلامية وطبقاً لأحاديث وأخبار كثيرة وأدلة قدمها العلماء هو روح العالم، وإنّ العالم متوقف عليه، إنّ الإمام قلب عالم الوجود ونواة الوجود المركزية والواسطة في الفيض بين العالم وخالقه، من هنا فإنّ حضوره وغيبته سيان، ولو لم يكن في هذا العالم - ولو مجهولاً - لتلاشى عالم الوجود.

كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الرابع: «ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها»<sup>(٢)</sup>.

١. أصول الكافي: ١/ ١٧٩؛ كمال الدين: ١/ ٢٠١ - ٢١٠.

٢. أمالي الشيخ الصدوق، ص ١١٢، المجلس ٣٥؛ كمال الدين: ١/ ٢٠٧، الباب ٢١، ح ٢٢؛ فرائد السمطين، الجويني الخراساني، ص ٤٥ - ٤٦.

## ٢. حماية دين الله وحفظه

قال أمير المؤمنين عليه السلام حول ضرورة وجود القادة الإلهيين في كل عصر وزمان في إحدى كلماته: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته». (١)

إن مرور الزمن وامتزاج الآراء والأفكار الشخصية بالقضايا الدينية وتدخل يد المفسرين في التعاليم السماوية، جعل بعض القوانين الربانية تفقد أصالتها، ويكون الدين عرضة للتغيرات المضرة.

فلأجل أن تصان أصالة الدين الإلهي وأن يسد الطريق بوجه الانحرافات والخرافات يجب أن يمسك الإمام المعصوم سكان هذه السفينة.

فإنه في كل مؤسسة هامة يوجد هناك صندوق للأمان يودع فيه الوثائق المهمة حفظاً لها من السرقة أو الحريق وما شابه، وصدر الإمام وروحه العالية أيضاً هما صندوق الأمان لحفظ وثائق الدين الإلهي إبقاءً على جميع الأصالات الأولية والسماوات السماوية لذلك الدين فيه. (٢)

كتب الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري وبعد أن روى الأحاديث التي تقول بأن عيسى سيهبط إلى الأرض عند ظهور الإمام المهدي ويأتي به في الصلاة: وما يقال في أن عيسى سيأتي في الصلاة برجل من هذه الأمة في آخر الزمان، دليل على ما صحّ عند العلماء من أن الأرض لا تخلو من حجة يخرج الله بالبراهين الساطعة. (٣)

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/٣٤٧؛ المناقب، أخطب خوارزم: ٢٦٤.

٢. مهدي انقلابي بزرگ، ناصر مكارم: ٢٥٨-٢٥٩.

٣. فتح الباري، بشرح صحيح البخاري: ٦/٤٩٤.

### ٣. بعث الأمل في النفوس

تركز جميع جهود الجنود والمقاتلين الصناديد في ساحة المعركة على هذا الأمر، وهو أن تظل راية الجيش ترفرف أمام هجمات الأعداء، وفي المقابل يحاول جنود الأعداء أن يجعلوا رايتهم منكوسة دائماً، لأنّ بقاء الراية مرفرفة يبعث القوة في الجنود ويزرع الأمل ويرفع من معنوياتهم، كذلك وجود القائد في مقر القيادة - وإن كان صامتاً - يجعل الدماء تجري بسرعة في شرايينهم، ويحثهم على بذل قصارى جهدهم، فيقولون: قائدنا حيٌّ ورايتنا ترفرف عالية.

فبمجرد أن ينتشر نبأ قتل القائد بين الجيش يصاب الجيش مهماً كان عظيماً وكفوءاً بالإحباط ويتلاشى، ومادام رئيس المجموعة أو الجيش حياً فإنه يبعث الحيوية والنشاط والاطمئنان والأمان في نفوسهم حتى لو كان مسافراً أو راقداً في الفراش، غير أنّ سماع نبأ موته ينثر غبار اليأس والخيبة والإحباط على رؤوس الجميع.

والشيعة ووفقاً لعقيدتهم في الإمام الحي الغائب لا يرون أنفسهم وحيدين بعيدين عن قائدهم بالرغم من أنّهم لا يشاهدونه بينهم، والأثر النفسي لهذه العقيدة في إبقاء سراج الأمل وهاجاً في قلوبهم وحثهم على تربية وإعداد أنفسهم لتلك الثورة العالمية الكبرى أمر ممكن دركه واستيعابه.<sup>(١)</sup>

وقال البروفسور هنري كربن استاذ الفلسفة في جامعة السوربون والمستشرق الفرنسي الشهير:

اعتقد أنّ المذهب الشيعي هو المذهب الوحيد الذي حافظ على علاقة الهداية الإلهية بين الخالق والمخلوق إلى الأبد، فقد جعل الولاية

١. مهدي انقلابي بزرگ، ناصر مكارم: ٢٥٥-٢٥٦.

مستمرة متصلة حية، فالدين اليهودي ختم النبوة التي هي علاقة واقعية بين الله والعالم الإنساني في النبي موسى عليه السلام وأنكر نبوة المسيح ومحمد بعد ذلك، كذلك المسيحيون توقفوا عند المسيح أيضاً، وتوقف أهل السنة عند النبي محمد ﷺ أيضاً، واعتقدوا أنّ علاقة الخالق بمخلوقه قد انتهت بخاتمته؛ وأمّا المذهب الشيعي فهو المذهب الوحيد الذي يؤمن بأن النبوة ختمت بنبوة النبي محمد ﷺ، غير أنّه يعتقد بأنّ الولاية التي هي علاقة الهداية المكملّة مستمرة حية بعد النبي إلى الأبد.<sup>(١)</sup>

والحمد لله ربّ العالمين

١. سالنامه ٢ مكتب تشيع، حوارات الأستاذ العلامة الطباطبائي مع البروفسور هنري كربن حول الشيعة، ص ٢٠.

| الصفحة | الموضوع                                             |
|--------|-----------------------------------------------------|
| ٥٣٣    | ١. حدّ المسيحي الزاني                               |
| ٥٣٤    | ٢. نذر المتوكل                                      |
| ٥٣٤    | الإمام الهادي والمدارس الكلامية                     |
| ٥٣٥    | مواجهة الغلاة                                       |
| ٥٣٨    | فتنة خلق القرآن                                     |
| ٥٤١    | موقف الإمام الهادي ؑ                                |
| ٥٤٣    | تلامذة مدرسة الإمام الهادي ؑ                        |
| ٥٤٤    | استشهاد الإمام ؑ                                    |
|        | (١١)                                                |
|        | الإمام الحسن بن علي                                 |
|        | العسكري ؑ                                           |
| ٥٤٧    | نبذة مختصرة عن حياة الإمام ؑ                        |
| ٥٤٨    | الخلفاء المعاصرون للإمام ؑ                          |
| ٥٤٨    | ١. المعتز                                           |
| ٥٤٩    | مقتل المعتز                                         |
| ٥٤٩    | ٢. المهدي بالله                                     |
| ٥٥١    | ٣. المعتمد                                          |
| ٥٥١    | الظروف السياسية والاجتماعية في عصر الإمام العسكري ؑ |

| الصفحة | الموضوع                                            |
|--------|----------------------------------------------------|
| ٥٥٤    | إجراءات الإمام الأمنية                             |
| ٥٥٦    | الجوانب السبعة لنشاط الإمام العسكري عليه السلام    |
| ٥٥٧    | ١. النشاطات العلمية                                |
| ٥٥٨    | أ. خطأ الفيلسوف                                    |
| ٥٦٠    | ب. الجاثليق يبسط راحتيه                            |
| ٥٦١    | ٢. إيجاد شبكة اتصالات مع الشيعة                    |
| ٥٦٥    | الرسل والرسائل                                     |
| ٥٦٦    | ٣. النشاطات السياسية السرية                        |
| ٥٦٧    | ٤. دعم الشيعة مالياً                               |
| ٥٧٠    | ٥. توجيه رجال الشيعة سياسياً ودعم شخصياتهم البارزة |
| ٥٧١    | ٦. الاستفادة من علم الغيب على نطاق واسع            |
| ٥٧٧    | ٧. إعداد الشيعة لعصر الغيبة                        |
| ٥٧٨    | التنبؤ بغيبة المهدي - عجل الله فرجه الشريف -       |
| ٥٧٩    | سطوع شمس الحقيقة                                   |
| ٥٨٢    | استشهاد الإمام والمؤامرات الفاشلة                  |
| ٥٨٤    | محاولات جعفر الكذاب الفاشلة                        |
| ٥٨٦    | جهود غير مثمرة                                     |

| الصفحة | الموضوع                                             |
|--------|-----------------------------------------------------|
|        | (١٢)                                                |
|        | الإمام الحجة بن الحسن                               |
|        | المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف                   |
| ٥٩١    | بذة مختصرة عن حياة الإمام                           |
| ٥٩٢    | لادة الإمام عجل الله فرجه الشريف في رأي علماء السنة |
| ٥٩٣    | قاء الإمام المهدي                                   |
| ٥٩٥    | لأسباب السياسية والاجتماعية للغيبة                  |
| ٥٩٥    | أ. اختبار الناس                                     |
| ٥٩٧    | ب. حفظ الإمام                                       |
| ٥٩٧    | ج. التحرر من نير البيعة لطواغيت العصر               |
| ٥٩٨    | لغية الصغرى والكبرى                                 |
| ٦٠٠    | لسفراء الأربعة                                      |
| ٦٠١    | ١. أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري                    |
| ٦٠٣    | ٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري                     |
| ٦٠٤    | ٣. أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي                |
| ٦٠٥    | ٤. أبو الحسن علي بن محمد السمرى                     |
| ٦٠٦    | هـام ونشاطات السفراء الرئيسية                       |
| ٦٠٧    | ١. إخفاء اسم ومكان الإمام                           |

| الصفحة | الموضوع                                   |
|--------|-------------------------------------------|
| ٦٠٨    | ٢. إعداد الوكلاء وتعبئتهم                 |
| ٦٠٩    | ٣. استلام أموال الإمام وتوزيعها           |
| ٦١٠    | ٤. الإجابة على الأسئلة الفقهية والعقائدية |
| ٦١٢    | ٥. مواجهة دعاة السفارة الكاذبين           |
| ٦١٣    | الغيبة الكبرى                             |
| ٦١٥    | المهدي في مصادر الشيعة                    |
| ٦١٨    | الكتب التي ألفت حول المهدي قبل ولادته     |
| ٦١٩    | المهدي في مصادر أهل السنة                 |
| ٦٢٢    | بيان رابطة العالم الإسلامي                |
| ٦٢٥    | من هو أبو المهدي؟                         |
| ٦٢٦    | ابن خلدون وأحاديث المهدي عليه السلام      |
| ٦٣٠    | انتظار المهدي ومدعو المهدوية              |
| ٦٣٢    | ماهية دولة المهدي في القرآن               |
| ٦٣٦    | فوائد وجود الإمام في عصر الغيبة           |
| ٦٣٦    | الشمس المحجوبة وآثارها                    |
| ٦٣٨    | ١. روح العالم                             |
| ٦٣٩    | ٢. حماية دين الله وحفظه                   |
| ٦٤٠    | ٣. بعث الأمل في النفوس                    |
| ٦٤٣    | فهرس المحتويات                            |